بذل المال في طلب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ والتصوير وغير ذلك دون الحصول على إذن خطي من المؤلف والناشر.

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠ م

رقم الإيداع

٨٥٨٩/ ٢٠٢٠

الترقيم الدولي: ٧-٧١٩٤-٩٠-٩٧٧-٩٧٨

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

01007868983 - 01007711665

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

المنصورة : عزبة عقل - شارع المكتبات

بجوار جامعة الأزهر .

بذل المال في طلب العلم

رسالة في الحث على إنفاق المال في طلب العلم ونشره

تأليف الدكتور
أحمد بن فتحي البكري
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أنفُسِنَا وسَيِّئَاتِ أعمَالنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أما بعد:

فإنّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كتَابُ اللهِ تَعَالى، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ محْدَثَاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضَلالةٌ، وكلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

فإنَّ اللهَ بَعَثَ محمَّدًا ﷺ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ؛ ليُخْرِجَ النَّاسَ من الظلُمَاتِ إلى النُّورِ بإذنِ رَبِّهِم إلى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ، وأخْبرَ سُبْحَانَهُ أنَّهُ بَعَثَهُ داعِيًا إليهِ بإذْنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرًا، وأمَرَهُ أن يَقُولَ: ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فأرشَدَ النَّبِيُّ ﷺ أمَّتَهُ إلى كُلِّ مَا فيهِ خيرٌ لَهُم، وحَذَّرَهُم مِن كُلِّ مَا فِيهِ شَرٌّ لَهُم، وقَالَ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١).

كَمَا قَالَ ﷺ فيما صَحَّ عَنْهُ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(٢).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَرَكنَا رَسُول اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ ﷺ: «**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**»(٣).

وقال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣) وأحمد (١٧١٤٢) وصحَّحَهُ السيوطي والألباني.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٣).
(٤) رواه البخاري (٣١٩٢).

وبِذَلِكَ يَكُونُ ﷺ قَدْ بَلّغَ رسَالَةَ رَبِّهِ، وأقَامَ الحُجَّةَ عَلَى الأمَّةِ.

وقَدْ أَمَرَ ﷺ أصْحَابَهُ ومَن بَعدَهُم بأن يُبَلِّغُوا عَنْهُ وعَن رَبِّهِ تَبَارَك وتَعَالى، ويُبَلِّغُوا رسَالتَهُ للنَّاسِ كافَّةً، فقَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١).

فأطَاعَ أصحَابُه أمرَهُ، وسَارُوا عَلَى دَرْبِهِ، واقْتَفَوا أثَرَهُ، وعَمِلُوا بوَصَايَاهُ، ورَحَلُوا إلَى الآفَاقِ، وأفْنَوا أعمَارَهُم، وأنفَقُوا أمْوَالَهُم، بَل وعرَّضُوا أنفُسَهُم للمَهَالِكِ؛ حتَّى نَقَلُوا إلينَا هَذَا الدِّينَ، ومَا فَعَلُوا ذَلِكَ إلا طَاعَةً لرَبِّهم ولِنَبِيِّهِم، ولأنَّهم يعلَمُون شَرَفَ العِلمِ وتَبْلِيغِهِ، وعِظَمَ أثَرِهِ، ومَنْ عَرَفَ شَرَفَ ما يَطْلُبُ هَانَ عَلَيهِ ما يَبْذُلُ!

وكما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (العِلْمُ لا يَعْدِلُهُ شَيءٌ)(٢).

وقال أيضًا: (طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ). قِيلَ فَأَيُّ شَيْءٍ تَصْحِيحُ النِّيَّةِ؟ قَالَ: (يَنْوِي أَنْ يَتَوَاضَعَ فِيهِ، وَيَنْفِيَ عَنْهُ الْجَهْلَ)(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

(٢) «إعلام الموقعين» (٦/ ١١٦)، و«الآداب الشرعية» (٢/ ٤٢).

(٣) «غذاء الألباب» للسفاريني (٢/ ٥١٩).

والعِلْمُ لا يُؤتِيكَ بَعضَهُ حتَّى تُؤتِيهِ كُلّكَ -مَالَكَ وعُمُرَكَ وعَقْلَكَ -، ولن يبْلُغَ مَرْتَبَةَ الرُّسُوخِ في العِلْمِ إلا مَنْ ضَحَّى بِكُلِّ نَفِيسٍ وغَالٍ في سَبِيلِ طَلَبِ العِلْمِ والرِّحْلَةِ إلى أهْلِهِ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ عَلَى العِلْمِ فلَيسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ!

ولَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يُنفِقُونَ جُلّ أمْوَالِهم في سَبِيلِ تَحصِيلِ العِلْمِ ونَشْرِهِ؛ لرَغْبَتِهِم في مَعْرِفَةِ اللهِ والتَّقَرُّبِ إليهِ، وإقَامَةِ شَرعِهِ ودِينِهِ، وقَدْ كَانُوا يَعلمُونَ أنَّ المَالَ مُجَرَّد وسِيلةٍ لتَحْصِيلِ العِلْمِ وقَضَاءِ الحَوائِجِ، وليسَ غَايةً تُبتَغَى، فَحَرِصُوا عَلَى إنفَاقِهِ في أنْفَسِ القُرُبَاتِ وأجَلِّ الطاعَاتِ.

ولمَّا رأيتُ أنّ كثِيرًا مِنَ النَّاسِ في هَذَا الزَّمَانِ قَدْ زَهَدُوا في العِلْمِ، وانصَرَفُوا عَن الإنفَاقِ في سَبِيلِ طَلَبِهِ والرِّحْلَةِ إلى العُلمَاءِ لِتَحْصِيلِهِ؛ أردتّ أنْ أذَكِّرَ طُلابَ العِلْمِ بضَرُورَةِ بَذْلِ المَالِ مِن أجْلِ تَحْصِيلِ العْلِمِ ونَشْرِهِ، وأحُثّ أصْحَابَ الأمْوَالِ الَّذِينَ لم يَتَمَكّنُوا مِنْ أنْ يَكُونُوا عُلمَاء أو دُعَاةً أن يَبْذُلُوا أموَالَهُم في خِدْمَةِ العِلْمِ ونَشْرِهِ.

وأردتّ أيضًا أنْ أذكِّرَ طُلابَ العِلْمِ بأنَّ عُلمَاءَ الـمُسْلِمِينَ مَا بَلَغُوا هَذَا المَبْلَغَ العَظِيمَ إلا بَعْدَمَا أنفَقُوا جُلَّ أمْوَالِهم في تَحْصِيلِ العِلْمِ.

وقَدْ ذَكَرْتُ في هذا الكِتَابِ كَثِيرًا مِنَ الأمْثِلَةِ الّتِي يَنبَغِي أن يَحتَذِيَ بها طَالِبُ العِلْمِ المُجِدُّ؛ ليَبْلُغَ مَبْلَغَ العُلَمَاءِ.

واللهَ أسْأَلُ أنْ يُعِينَنَا عَلَى تَعَلّمِ العِلْمِ وتَعْلِيمِهِ، وأنْ يَرزُقَنَا مِنَ المَالِ ما يُعِينُنَا عَلَى ذَلِكَ، إنَّه وليُّ ذَلِكَ والقَادِرُ عَلَيهِ.

فها هُوَ الكتَابُ بَينَ يَدَيكَ، فإنْ كانَ فيه من تَوفِيقٍ وإحسَانٍ فمن فَضْلِ اللهِ الكَرِيمِ المنَّانِ، وإنْ كَانَ فِيهِ من خَطَأٍ أو تَقْصيرٍ أو نِسيانٍ، فمنْ نَفْسِي ومنَ الشَّيطَانِ.

وأسأَلُ اللهَ تَعَالَى أنْ يَجْعَلَ ما سَطَّرَتْهُ يَدِي زَادًا إلى حُسْنِ المَصِيرِ إليهِ، وعتَادًا إلى يُمنِ القُدُومِ عَلَيهِ، وأن يَنْفَعَنِي بِهِ وجَمِيعَ المُسْلِمينَ، وأن يَجعَلَهُ في ميزَانِ حَسَنَاتي يَومَ ألقَاهُ، إنَّه بُكلِّ جَمِيلٍ كَفِيلٌ، وهُوَ حَسْبِي ونِعْمَ الوَكِيل.

وصلِّ اللهُمَّ وسَلِّم وبَارِكْ على نَبِيِّنَا مُحمَّدٍ وعَلَى آلهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينَ.

وكتبه

د. أحمد بن فتحي البكيري

Dr.albokiry@gmail.com

المبحث الأول

فضل طلب العلم

تمهيد

إن العِلْمَ أشْرَفُ وأفْضَلُ مَا جَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ، وأنْفَعُ مَا كَسَبَهُ الكَاسِبُ، والحَدِيثُ عَنْ فَضْلِهِ ومَا يَنَالُهُ طَالِبُهُ مِنْ مَجْدٍ وكَرَامَةٍ حَدِيثٌ لا يَكْشِفُ عَنْ غَامِضٍ، ولا يَطْرُقُ السَّمْعَ بِجَدِيدٍ، إذْ قَدْ بَرَعَ في التَّصنِيفِ فيهِ أكابِرُ العُلَمَاءِ، ومَلأَتْ كُتُبُهُم المَشَارِقَ والمَغَارِبَ، وعَلِمَ قِيمَتَهَا القَاصِي والدَّانِي.

ومِنَ الَّذِينَ عُنُوا بِالتَّصنِيفِ في بَيَانِ فَضْلِهِ: ابنُ عَبْدِ البَرِّ في كِتَابِه «**جَامِعُ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِهِ**»، وابْنُ القَيِّمِ في كِتَابِهِ «**مفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ**»، وغَيرُهُمَا.

فأرَدتُّ فِي هَذَا المَبْحَثِ أنْ أذْكُرَ بَعْضَ مَا اقْتَبَسْتُهُ مِن دُرَرٍ من كُتُبِ هَؤلاءِ الأفْذَاذِ؛ لأذَكِّرَ بفَضْلِ طَلَبِ العِلْمِ، ومَا جَعَلَهُ اللهُ مِن أجْرٍ ومَثُوبَةٍ ومكَانَةٍ لأولِي العِلمِ العَامِلِينَ بِهِ، وليَكُونَ بِمَثَابَةِ التَمْهِيدِ لِمَا وُضِعَ الكتَابُ مِنْ أجْلِهِ؛ ألا وهُوَ الحَثّ عَلَى بَذْلِ المَالِ في تَحْصِيلِ العِلْمِ ونَشْرِهِ.

وقد ذَكَرْتُ في هَذا المَبْحثِ هَذِهِ الدُّرَرَ مُرَتَّبَةً ومُعَنْوَنَةً بِعَنَاوِينَ تُنَاسِبُ مُحْتَوَاهَا.

العلم يهدي إلى الإيمان

قَالَ شَيخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (في قَولِهِ تَعَالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ يَدُلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، لَيْسَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ ارْتَفَعُوا عَنْ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ - كَمَا يَتَوَهَّمُهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُتَكَلِّمَةِ - بَلْ مَعَهُمْ الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [النساء: ١٦٢] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ [الروم: ٥٦].

وعلى هَذا: فقَولُه تَعَالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] نظير هذه الآية، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ هُنَا أَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَخْبَرَ هُنَاكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْمُتَشَابِهِ: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]، وَكِلَا الْمَوْضِعَيْنِ مَوْضِعُ رَيْبٍ وَشُبْهَةٍ لِغَيْرِهِمْ..)[١].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٧١).

العلم يهدي إلى الحق

قال الله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ [سبأ: ٦].

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ أُوتيَ العِلْمَ رَأَى أنَّ مَا أُنزِلَ إليهِ مِن رَبِّه هُوَ الحقّ، وأمَّا مَن كَانَ عِندَهُ مَا يَظُنُّهُ عِلْمًا -وهو جَهْلٌ- فَذَلِكَ يَرَى الأمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيهِ، مِثل مَن زَاغَ فَأزَاغَ اللهُ قَلْبَه، وكَانَ في قَلْبِهِ مَرَضٌ، فَزَادَهُ اللهُ مَرَضًا، ومِمَّن يُقَلِّبُ اللهُ أفئِدَتَهم وأبْصَارَهُم كَمَا لم يُؤمِنُوا بِهِ أوَّلَ مَرَّة، ومِن الصُّمِّ البُكمِ العُمْي الَّذِين لا يَرْجِعونَ إلى مَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الهُدَى، أو لَمْ يَكُونُوا يَعْقِلونَ بِحَال)[1].

وقالَ تَعَالى عَلَى لِسَانِ إبرَاهِيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم: ٤٣].

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٤٠).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقول [إبراهيم]: فَإِنْ كُنْتُ مِنْ صُلْبِكَ وَتَرَى أَنِّي أَصْغَرُ مِنْكَ، لِأَنِّي وَلَدُكَ، فَاعْلَمْ أَنِّي قَدِ اطَّلَعْتُ مِنَ الْعِلْمِ مِنَ اللهِ عَلَى مَا لَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ وَلَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ وَلَا جَاءَكَ بَعْدُ، ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ أَيْ: طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا مُوَصِّلًا إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ)[1].

***

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٣٤).

العلم يرفع الدرجات

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١].

قالَ شَيخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خَصَّ سُبْحَانَهُ رَفْعَهُ بِالْأَقْدَارِ وَالدَّرَجَاتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَشْهَدَ بِهِمْ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[آل عمران: ١٨]، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَرَوْنَ مَا أُنْزِلَ إلَى الرَّسُولِ هُوَ الْحَقُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ تَعَلُّمَ الْحُجَّةِ وَالْقِيَامَ بِهَا يَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ يَرْفَعُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾[الأنعام: ٨٣].

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِالْعِلْمِ. فَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَالْأَقْدَارِ عَلَى قَدْرِ مُعَامَلَةِ الْقُلُوبِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَكَمْ مِمَّنْ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَآخَرُ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَآخَرُ لَا يُفْطِرُ، وَغَيْرُهُمْ أَقَلّ عِبَادَةً مِنْهُمْ وَأَرْفَعُ قَدْرًا

فِي قُلُوبِ الْأُمَّةِ، فَهَذَا: كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ، وكَهْمُس، وَابْنُ طَارِقٍ، يَخْتِمُونَ الْقُرْآنَ فِي الشَّهْرِ تِسْعِينَ مَرَّةً، وَحَالُ ابْنِ الْمُسَيِّبِ وَابْنِ سِيرِين وَالْحَسَنِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْقُلُوبِ أَرْفَعُ)[1].

***

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٩).

العلم يرفع منزلة أهله في الدنيا

إنَّ العِلمَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ في الدُّنيَا والآخِرَةِ مَا لا يَرْفَعُهُ المُلكُ أو المَالُ، فالعِلْمُ يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا ويَرْفَعُ العَبْدَ المَمْلُوكَ حَتَّى يُجْلِسَهُ مجَالِسَ المُلوكِ.

قالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: ١٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وقَالَ دَاودُ وسُلَيمَانُ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا بِمَا خَصَّنَا بِه مِنَ العِلْمِ الَّذِي آتَانَاهُ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ في زَمَانِنَا هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِن عَبَادِهِ المُؤمِنِينَ بِه في دَهْرِنَا هَذَا)(١).

وجَاءَ عَنْ نَافِعِ بنِ عَبْدِ الحَارِثَ أَنَّهُ لَقِيَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعُسْفَانَ، وكَانَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فقال: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلىً مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلىً؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٣٧).

بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١).

وقال أبو إسحاقَ الحَربيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كانَ عطاءُ بنُ أَبِي رَبَاح عَبدًا أسْودَ لامرأةٍ من أَهْلِ مكَّة، وكانَ أنفُهُ كأنَّه بَاقِلَّى، قال: وجاءَ سُليمَانُ بنُ عبدِ المَلكِ أميرُ المؤمِنِينَ إلى عَطَاء هو وابنَاهُ، فجَلَسُوا إليهِ يُصَلِّي، فلمَّا صَلَّى انتَقَل إليهم فمَا زَالُوا يسْألونَهُ عن مناسِكِ الحجِّ وقدْ حوَّل قَفَاه إليهم، ثُمَّ قال سليمانُ لابنَيهِ: قُوما. فقَامَا، فقَال: (يا بَنِيَّ لا تَنِيَا في طَلَبِ العِلمِ، فإني لا أنسَى ذُلّنا بينَ يَدَي هذَا العبدِ الأسْوَدِ)(٢).

ومرَّ أعرابيٌّ عَلى البَصرَةِ، فقَال: من سيِّدُ هذِهِ البَلدةِ؟ قيلَ لهُ: الحسنُ البَصريُّ، قالَ: وبِمَ سَادَهم؟ قالوا: لأنَّهُ استَغنَى عن دُنْيَاهُم وافتَقَروا إلى عِلمِهِ.(٣)

وقَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ رَحِمَهُ اللهُ: (الْعِلْمُ شَرَفُ الْأَحْسَابِ؛ يَرْفَعُ الْخَسِيسَ فِي نَسَبِهِ، وَمَنْ قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٧٥).

(٣) «لفتة الكبد في نصيحة الولد» لابن الجوزي (ص ٢٧).

(٤) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٧/ ٢١٤).

وقال عيسَى بن يُونُس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما رأيتُ الأغنيَاءَ والسَّلاطِينَ عندَ أحَدٍ أحقَرَ مِنهُم عندَ الأعْمَشِ مَعَ فَقرِه وحَاجَتِهِ)(١).

وقال سفيانُ بن عُيينَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رأيتُ الأعمَشَ لبِسَ فَروًا مَقْلُوبًا، وقَبَاءً يَسيلُ خُيوطُهُ عَلَى رِجلَيهِ، ثُمَّ قال: أرأيتُم لوْلا أنِّي تَعَلَّمتُ العِلمَ من كانَ يأتِيني؟ لو كنْتُ بَقَّالاً كانَ يقذَرُني النَّاسُ أن يشتَروا مِنِّي)(٢).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن تَعَلَّمَ القُرآن عَظُمَت قيمتُه، ومَن نظَرَ في الفِقهِ نَبُل مقدَارُه، ومن تَعَلَّمَ اللغَةَ رقَّ طبعُهُ، ومَن تَعَلَّمَ الحسَابَ تجزَّل رأيُهُ، ومن كَتَبَ الحَدِيثَ قوِيتْ حُجَّتُه، ومَن لم يَصُن نفْسَهُ لم يَنفَعْهُ عِلمُهُ)(٣).

وقال يَحيَى بنُ أكثَم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ لي الرَّشيدُ: ما أنبَلُ المَرَاتِب؟ قلتُ: ما أنْتَ فيه يا أميرَ المؤمنينَ. قال: فَتَعرِف أجلَّ مِنِّي؟ قلتُ: لا. قالَ: لكنِّي أعْرِفهُ، رجلٌ في حَلقَةٍ يقول:

---

(١) «تاريخ بغداد» (٩/ ٨)، والقباء: ثوب منضم الأطراف مشتق من القبو وهو الجمع والضم، سمي بذلك لأنه يضم لابسه.

(٢) «تاريخ بغداد» (٩/ ٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣).

حدَّثنا فلانٌ عَنْ فُلانٍ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ .... قلتُ: يا أمِيرَ المُؤمنينَ، هَذَا خَيرٌ مِنكَ وأنتَ ابنُ عمِّ رسُولِ الله ﷺ، ووليُّ عَهدِ المُسْلمينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيلكَ، هَذَا خَيرٌ منِّي؛ لأنَّ اسمَهُ مُقترن باسْمِ رسولِ اللهِ ﷺ لا يموتُ أبدًا، نحنُ نموتُ ونَفنَى، والعُلمَاءُ باقُونَ ما بَقِيَ الدَّهرُ)[١].

وعن الحَسَنِ بنِ مُحمَّد الصَّباحِ الزَّعفَرَاني رَحِمَهُ اللهُ قال: (لمَّا قرَأتُ كتَابَ الرِّسَالةَ عَلَى الشَّافِعيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ لي: مِن أيِّ العَرَبِ أنتَ؟ فقلتُ: مَا أنا بِعَرَبِيٍّ، ومَا أنَا إلا من قَرْيةٍ، يُقَالُ لها: الزَّعفَرَانيةُ. فقَالَ لي: فأنتَ سيِّدُ هَذِهِ القرْيةِ)[٢].

وقال النضرُ بن شُمَيل رَحِمَهُ اللهُ: (مَن أرَادَ أن يَشْرُفَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، فَليَتَعَلَّمَ العِلم)[٣].

وقَالَ عِيسَى بنُ عَلِيٍّ الوَزِيرُ رَحِمَهُ اللهُ:

رُبَّ ميتٍ قد صَار بالعِلْمِ حَيًّا...ومَبْقِيٍّ قَدْ حَازَ جَهْلاً وغَيًّا
فَاقْتَنُوا العِلْمَ كَي تَنَالُوا خُلُودًا...لا تَعْدُوا الحَيَاةُ في الجَهْلِ شَيًّا[٤]

(١) «تاريخ دمشق» (٧٣/ ٢٩٥).
(٢) «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٠٧).
(٣) «المنتخب من معجم شيوخ السمعاني» (١/ ٨٠٩).
(٤) «تاريخ بغداد» (١١/ ١٧٩).

العـــلم إمـــام العمل

قال سفيانُ بن عُيَينَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَيسَ العَالِمُ الذي يَعرِفُ الخَيرَ والشَّرَّ، إنَّمَا العَالِمُ الَّذِي يَعرِفُ الخَيرَ فَيتَّبِعُهُ، ويعرِفُ الشَّرَّ فيجْتَنِبُهُ)(١).

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الْعِلم إِمَام الْعَمَل، وقَائِدٌ لَهُ، وَالْعَمَلُ تَابعٌ لَهُ ومؤتَمٌّ بِهِ، فَكلّ عمَلٍ لَا يكونُ خَلْفَ العِلْمِ مُقْتديًا بِهِ فَهُوَ غير نَافِع لصَاحبه بل مضرَّة عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ بعض السَّلفِ: من عبد الله بِغَيْر علم كَانَ مَا يفْسدُ أَكثر مِمَّا يُصْلِحُ. والأعْمَالُ إِنَّمَا تَتَفَاوَت فِي الْقبُول وَالرَّدّ بِحَسبِ مُوَافَقَتِهَا للْعِلْمِ ومُخَالَفَتِهَا لَهُ، فَالْعَمَل الْمُوَافق للعلْمِ هُوَ المقبُولُ، والمُخَالِف لَهُ هُوَ الْمَرْدُود)(٢).

***

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٢).

ثواب العلم دائم لا ينقطع

عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ بَيَانُ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَالْحَثُّ عَلَى الِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَالتَّرْغِيبُ فِي تَوْرِيثِهِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْإِيضَاحِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الْعُلُومِ الْأَنْفَعَ فَالْأَنْفَعَ)(٢).

وقال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهَذَا من أعظَمِ الأدلَّةِ على شَرَفِ العِلمِ وفضلِهِ وعِظَم ثَمَرتِهِ؛ فإنَّ ثَوَابَهُ يصلُ إلى الرَّجُلِ بَعدَ مَوتِهِ مَا دَامَ يُنتَفع بِهِ، فكأنَّه حيٌّ لم يَنقَطِع عملُهُ معَ مَا لَهُ من حَياةِ الذِّكرِ والثَّناءِ، فجَرَيانُ أجْرِهِ علَيهِ إذا انقَطَعَ عَن النَّاسِ ثوابُ أعمَالِهِم حَيَاةٌ ثانِيَةٌ)(٣).

وللهِ دَرُّ مَن قَالَ: عِلْمُ الرَّجُلِ ولَدُهُ المُخَلَّد.(٤)

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١١/ ٨٥).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٥).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٣).

العلم حيـــاة القـلوب

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»(١).

قال ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه: أنَّه لا يَقبَلُ ما أنزَلَ اللهُ مِن الهُدَى والدِّين إلا مَن كانَ قلبُهُ نقيًّا من الإشراكِ والشَّكِ؛ فالَّتِي قَبِلَتِ العِلمَ والهُدَى كالأرضِ المُتَعَطِّشَةِ إليهِ، فهِيَ تَنتِفعُ بِهِ، فتَحيا فتَنبُتُ، فَكَذَلِكَ هَذهِ القُلوبُ البريئَةُ مِن الشَّكِّ والشِّركِ، المتَعَطِّشَةِ إلى مَعَالِمِ الهُدَى والدِّينِ، إذا وَعَتِ العِلمَ حَيَتْ بهِ، فعَمِلَتْ وأنبَتَتْ بما تَحيا بهِ أرمَاق

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

النَّاس المُحتَاجِينَ إلى مثل مَا كانَت القُلوبُ الواعِيَة تَحتَاجُ إليهِ)[١].

وَقَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَكَمَا أَنَّه لَا حَيَاة للأَرْضِ إلا بالمَطَرِ فَكَذَلِك لَا حَيَاة للقَلبِ إلا بِالْعلمِ، وَفِي الْمُوَطَّأ: قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلمَاءَ وَزَاحِمْهُم بِرُكبَتَيكَ فإنَّ الله تَعَالَى يُحيي الْقُلُوبَ المَيِّتَةَ بِنورِ الْحِكْمَة كَمَا يُحيي الأرضَ بِوَابلِ الْمَطَر؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ الأرض تحْتَاج الى الْمَطَر فِي بعضِ الأوقاتِ، فَإِذا تتَابع عَلَيْهَا احْتَاجَت إلى انْقِطَاعه، وأما العِلمُ فَيُحْتَاج إليه بِعَدَد الأنفَاسِ ولاتَزِيدُه كثرَتُهُ إلا صلاحًا ونَفْعًا)[٢].

***

(١) «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (١/ ١٦٣).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٨).

العلم خير من المال

قَالَ عَلَيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُمَيلِ بنِ زِيَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (العِلْمُ خَيرٌ من المَالِ، العِلمُ يَحرُسُكَ وأنتَ تَحرُسُ المَالَ، المَالُ تَنقُصُهُ النَّفَقَةُ، والعِلمُ يَزْكُو عَلَى الإنفَاقِ، مَحبَّةُ العَالِمِ دِينٌ يُدَانُ، تكسِبُهُ الطَّاعَة في حياتِهِ، وجمِيل الأحْدُوثَة بَعدَ وفَاتِهِ، ومَنفَعَةُ المَالِ تَزُولُ بزَوَالِهِ، العِلمُ حَاكِمٌ، والمالُ مَحكُومٌ عَليهِ، ماتَ خُزَّانُ الأموَالِ وهُمْ أحيَاء، والعُلمَاءُ باقُونَ ما بَقِيَ الدَّهرِ، أعيَانُهُم مَفقُودَةٌ، وأمثَالُهُم في القُلُوبِ مَوجُودَة)(١).

وقالَ أبُو جَعْفَر الطَّحَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كنتُ عندَ أحمَدَ بنِ أبي عمرَانَ فمرَّ بنَا رجلٌ من بَنِي الدُّنيا، فَنَظرتُ إليهِ وشُغِلتُ بِهِ عمَّا كنتُ فيهِ مِنَ المُذَاكَرةِ، فقَالَ لِي: كأنِّي بكَ قَد فكَّرتَ فِيمَا أعطِيَ هَذَا الرَّجُلُ مِن الدُّنيَا، قُلتُ لَهُ: نَعَم، قَالَ: هَلْ أدلّكَ عَلَى خَلَّةٍ؟ هَلْ لكَ أن يُحوِّلَ اللهُ إليكَ مَا عندَهُ مِن المَالِ، ويُحَوِّلَ إليهِ مَا عِندَكَ مِنَ العِلْمِ، فَتَعِيش أنتَ غنيًّا

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٨٠).

جَاهِلاً ويَعِيش هُو عالمًا فقِيرًا؟ فقلتُ: ما أختَارُ أن يُحوِّلَ اللهُ ما عندِي من العِلمِ إلى ما عِندَه، فالعِلمُ غِنىً بلا مالٍ، وعزٌّ بلا عَشِيرةٍ، وسُلطَانٌ بلا رجَالٍ)[١].

وقَالَ أَبُو هِلَال العَسْكري رَحِمَهُ اللهُ: (ولعمري أَنَّ شَيْئا يُنزِّلُ الـمملُوك منزلَة الْمُلُوك، وَيحل التَّابِع مَحل الْمَتْبُوع، وَيحكم بِهِ السُّوقة على الْملك الْعَظِيم، لحقيقٌ أَن يُنافَسَ فِيهِ، ويُحسَدَ صَاحبهُ عَلَيْهِ، ويُجتَهَدَ فِي طلبهِ أَشدَّ الِاجْتِهَادِ، وأمرًا يَخْدم فِيهِ عبدُ الله بن عُمَرَ مُجَاهدًا، وَمُجاهدُ وهُوَ ابن جبرٍ أَحَدُ مماليكِ مَكَّة، وَعبدُ الله؛ عبدُ اللهِ فِي فَضلِهِ وزُهدِهِ وَوَرَعِهِ وشُهرَةِ اسْمهِ، أَبُوهُ فِي شرَفِهِ ومَكَانِهِ من الصُّحْبَةِ، ثمَّ من رُتبَةِ الْخلَافَةِ، وَمُلْكِهِ الأَرْض شرقًا وغَربًا، وَطَاعَةِ أهل الْإِسْلَام وَالْكفْرِ لَهُ طَوْعًا وكَرهًا- لحريٌّ أَن يَرغَبَ فِيهِ الْعَاقِلُ، ويحافظ عَلَيْهِ اللبيب)[٢].

وقَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: (كلّ صَاحِبِ بضَاعَةٍ سوَى العِلمِ إذَا عَلِمَ أنَّ غيرَ بضَاعَتِهِ خَيرٌ منهَا زَهَدَ في بضَاعَتِهِ ورَغِبَ في

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٧).
(٢) «الحث على طلب العلم» للعسكري (٥٣).

الأُخرَى، وودَّ أنَّها لَهُ عِوَضُ بضَاعَتِهِ إلا صَاحِبَ بضَاعَةِ العِلمِ، فإنَّه لَيسَ يُحبُّ أنَّ لَهُ بِحَظِّهِ منهَا حظًّا أصْلاً)[١].

وقِيلَ: (العِلمُ أفضَلُ منَ المَالِ؛ لأنَّ العِلمَ ميراثُ الأنبياءِ، والمَالُ ميراثُ الفَرَاعِنَةِ، ولأنَّ العِلْمَ يحرُسُكَ، وأنتَ تحرسُ المَالَ، ولأنَّ العِلمَ لا يُعطِيهِ اللهُ إلا لِمَن يُحِبُّهُ، والمَالُ يُعطِيهِ مَن يُحبُّ ومَن لا يُحبُّ، ولأنَّ العِلمَ لا ينقُصُ بالبَذْلِ والإنفَاقِ، والمَالُ ينقُصُ بِهِمَا، ولأنَّ صَاحِبَ المَالِ إذَا مَاتَ انقَطَعَ ذكرُهُ، والعَالِمُ إذَا مَاتَ فذكرُه باقٍ، ولأنَّ صَاحِبَ المَالِ يُسألُ عن كُلِّ دِرْهَمٍ، من أينَ اكتَسَبَهُ وأينَ أنفَقَهُ، وصَاحِبُ العِلمِ لَهُ بكلِّ حَدِيثٍ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ، وحُكي عَن عَبْدِ اللهِ بنِ المبارَكِ رَحِمَهُ اللهُ أنَّه كَانَ في حَالِ المَوتِ ورَجُلٌ عندَهُ يَكتُبُ لَهُ العِلمَ، فقِيلَ لَهُ: في مِثلِ هَذِهِ الحَالَةِ؟ فقَالَ: لعَلَّ الكَلِمَةَ التِي تَنفَعُنِي لَم تَبْلغْنِي بعدُ)[٢].

وَقَد عَقَدَ ابنُ القَيِّمِ مُقَارَنَةً بَينَ العِلْمِ والمَالِ، وبيَّن فَضْلَ العِلْمِ على المَالِ مِن وجُوهٍ كَثيرَةٍ في كِتَابِهِ القَيِّمِ «**مفتَاح دَارِ السَّعَادة**»، نَذكرُ هُنَا بَعْضَهَا.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٧).

(٢) «المجالس الوعظية» للسفيري (٢/ ٨٨).

قَال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفضْلُ العِلْمِ عَلَى المَالِ يُعلَمُ مِن وُجُوهٍ؛ **أحَدِهَا**: أنَّ الْعِلمَ مِيرَاثُ الأنبِيَاءِ، وَالْمَالُ مِيرَاثُ الْمُلُوكِ والأغْنِيَاءِ. **وَالثَّانِي**: أنّ الْعِلمَ يَحْرُسُ صَاحِبَهُ، وَصَاحِبُ المَالِ يَحْرُسُ مَالَهُ. **وَالثَّالِث**: أنَّ المَالَ تُذْهِبُهُ النَّفَقَاتُ وَالْعِلمُ يَزْكُوا عَلَى النَّفَقَة. **الرَّابِع**: أنَّ صَاحِبَ المَالِ إذا مَاتَ فَارَقَهُ مَالُهُ، وَالْعِلمُ يَدْخُلُ مَعَهُ قَبرَهُ. **الْخَامِس**: أنَّ الْعِلمَ حَاكِمٌ عَلَى المَالِ، وَالْمَالُ لَا يَحْكُمُ عَلَى الْعِلمِ. **السَّادِس**: أنَّ المَالَ يَحْصُلُ لِلْمُؤمنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ والفَاجِرِ، وَالْعِلمُ النَّافِعُ لَا يَحْصُلُ إلا لِلْمُؤمنِ. **السَّابِع**: أنَّ الْعَالِمَ يَحْتَاجُ إلَيهِ الْمُلُوكُ فَمَن دُونَهُم، وَصَاحِبُ المَالِ إنَّمَا يَحْتَاجُ إلَيهِ أهْلُ الْعَدَمِ والفَاقَةِ. **الثَّامِن**: أنَّ النَّفس تَشْرُفُ وتَزْكُو بِجَمْعِ الْعِلْمِ وتَحْصِيلِهِ وَذَلِكَ مِن كَمَالِهَا وشَرَفِهَا، وَالْمَالُ لا يُزَكِّيهَا وَلَا يكملهَا وَلَا يزيدُهَا صِفَة كَمَالٍ، بَل النَّفْسُ تَنْقُصُ وتَشُحُّ وتَبْخَلُ بِجَمْعِهِ والحِرْصِ عَلَيْهِ، فَحِرصُهَا عَلَى الْعِلمِ عَينُ كمَالِهَا وحِرْصُهَا عَلَى المَالِ عينُ نَقصِهَا، **التَّاسِع**: أنَّ المَالَ يَدْعُوهَا إلَى الطّغْيَانِ وَالْفَخْر وَالْخُيَلَاء، وَالْعِلْمُ يَدْعُوهَا إِلَى التَّواضُعِ وَالْقِيَام بالعُبُودِيَّةِ...)[1].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٢٩)، وينصح بمراجعة الكتاب.

العلم يحفظ صاحبه من الزلل والمعصية والهلاك

قالَ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (العِلمُ يحْرُسُكَ وأنتَ تَحْرُسُ المَالَ)(١).

قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (العِلمُ يحفَظُ صَاحِبَهُ ويحْمِيهِ من مَوَارِدِ الهَلَكَةِ ومَوَاقِعِ العَطْبِ؛ فإنَّ الإنسَانَ لا يُلقِي نَفسَهُ في هَلَكَةٍ إذَا كانَ عقلُهُ مَعَهُ، ولا يُعَرِّضُهَا لتَلَفٍ إلا إذَا كَانَ جَاهِلاً بِذَلِكَ لا عِلمَ لَهُ بِهِ، فَهُوَ كَمَن يأكُلُ طَعَامًا مسمُومًا، فالعَالِـمُ بالسُّمِّ وضَرَرِهِ يحرُسُهُ علمُهُ ويمتَنِعُ به من أكْلِهِ، والجَاهِلُ بِهِ يقتُلُهُ جهْلُهُ، فهَذا مثلُ حِرَاسَةِ العِلْمِ للعَالِـم.

وكذَا الطَّبِيبُ الحَاذِقُ يمتَنِعُ بعِلْمِهِ عَن كَثِيرٍ ممَّا يَجْلِبُ لَهُ الأمرَاضَ والأسْقَامَ، وكذَا العَالِمُ بمخَاوِفِ طَرِيقِ سُلُوكِهِ ومعَاطِبهَا يأخذُ حَذَرَهُ منهَا فيَحْرُسهُ علمُهُ من الهَلاكِ، وهكَذا العَالِمُ باللهِ وبأمرِهِ وبعدوِّهِ ومكائِدِهِ ومدَاخِلِهِ على العبدِ يحرُسُهُ علمُهُ من وَسَاوِسِ الشَّيطَانِ وخَطَرَاتِهِ وإلقاءِ

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧٩).

الشَّكِّ والرَّيبِ والكفرِ في قَلْبِهِ، فهوَ بِعِلْمِهِ يمتَنِعُ من قَبُولِ ذلكَ، فعِلْمُهُ يَحْرُسُهُ مِن الشَّيطَانِ فكلَّمَا جَاءَ ليأخذَهُ صَاحَ به حَرَسُ العِلمِ والإيمَانِ، فيرجِع خاسِئًا خائِبًا، وأعظمُ مَا يحرُسُهُ من هَذَا العدوِّ المُبينِ: العِلمُ والإيمَانُ، فهَذَا السَّببُ الَّذِي من العَبدِ، واللهُ مِن وَرَاءِ حِفْظِهِ وحِرَاسَتِهِ وكَلاءَتِهِ، فَمَتَى وَكلَهُ إلى نفسِهِ طَرْفَةَ عَينٍ تَخطَّفُهُ عَدُوُّهُ)[1].

***

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٢٨).

ما أمر الله نبيه ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا العلم

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

قال الزَّمَخْشَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قيل: ما أمرَ اللهُ رسُولَهُ بطَلَبِ الزِّيادَةِ في شَيءٍ إلا في العِلمِ)(١).

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكفى بِهَذَا شرفًا للعِلمِ أنْ أمَرَ نبيَّه ﷺ أن يسْأَلَهُ المزِيدَ مِنْهُ)(٢).

وقَالَ الألُوسِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واسْتُدِلّ بالآيَةِ عَلَى فَضْلِ العِلْمِ؛ حَيثُ أمِرَ ﷺ بِطَلَبِ زِيادَتِهِ، وَذَكَرَ بَعْضُهُم أَنَّهُ مَا أمِرَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ في شَيءٍ إلا العِلْم)(٣).

***

(١) «تفسير الكشاف» للزمخشري (٣/ ٩٠).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥٠).
(٣) «روح المعاني» (٨/ ٥٧٧).

من أراد الله به خيرا يفقهه في الدين

عن مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

قال ابنُ بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيهِ فَضْلُ الفِقْهِ فى الدِّينِ عَلَى سائِرِ العُلُومِ، وإنَّمَا ثَبَتَ فَضْلُهُ؛ لأنَّهُ يَقُودُ إلى خَشْيَةِ اللهِ، والتِزَامِ طَاعَتِهِ، وتَجَنُّبِ مَعَاصِيهِ)(٢).

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُلُّ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا لَا بُدَّ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ، فَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا، وَالدِّينُ: مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ)(٣).

وقال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا يَدُلّ عَلَى أنَّ مَن لَم يفَقِّههُ في دِينِهِ لَم يُرِدْ بِهِ خَيرًا، كمَا أنَّ مَنْ أرَادَ بِهِ خَيرًا فَقَّهَهُ في دِينِه، ومَن فَقَّهَهُ في دِينِهِ فَقَد أرَادَ بِهِ خَيرًا إذَا أُرِيدَ بالفِقهِ العِلمُ المُستَلْزِم للعَمَلِ، وأمَّا إنْ أُرِيدَ بِهِ مُجَرَّدُ العِلمِ فَلا يَدُلّ عَلَى أنَّ مَنْ فَقَّهَهُ في الدِّينِ فَقدْ أُرِيدَ بِهِ خَيرًا، فإنَّ الفِقهَ حينئذٍ يكُونُ

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١/ ١٥٤).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٨٠).

شَرطًا لإِرَادَةِ الخَيرِ، وعَلَى الأوَّلِ يكُونُ موجِبًا. واللهُ أعلم)[١].

وقال الصَّنعاني رَحِمَهُ اللهُ: (الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ شَأْنِ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْطَاهُ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا عَظِيمًا، كَمَا يُرْشِدُ إِلَيْهِ التَّنْكِيرُ وَيَدُلُّ لَهُ الْمَقَامُ. وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ: تَعَلُّمُ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَمَعْرِفَةُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَفْهُومُ الشَّرْطِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا. وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَفْهُومُ مَنْطُوقًا فِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى «وَمَنْ لَمْ يُفَقَّهْ لَمْ يُبَالِ اللهُ بِهِ»، وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى شَرَفِ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَالْمُتَفَقِّهِينَ فِيهِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَعْرِفَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)[٢].

***

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٠).

(٢) «سبل السلام» (٢/ ٦٨٨).

طلب العلم طريق إلى الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)(١).

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْق، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ فِي حَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ، أَمَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ، أَمَا جِئْتَ إِلّا لِهَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ**»(٢).

قَالَ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسُلُوكُ الطَّرِيقِ لِالْتِمَاسِ الْعِلْمِ يَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْحَقِيقِيّ، وَهُوَ الْمَشْيُ بِالْأَقْدَامِ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، وأحمد (٢١٧١٥). وحسنه ابن حجر في «هداية الرواة» (١/ ١٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

إِلَى حُصُولِ الْعِلْمِ، مِثْل حِفْظِهِ، وَمُدَارَسَتِهِ، وَمُذَاكَرَتِهِ، وَمُطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ، وَالتَّفَهُّمِ لَهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْعِلْمِ.

وَقَوْلُهُ: «**سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» قَدْ يُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ يُسَهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَسَلَكَ طَرِيقَهُ، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ طَرِيقٌ مُوَصِّلٌ إِلَى الْجَنَّةِ)[1].

***

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٩٧)

الملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم

عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: أَنْبِطُ الْعِلْمَ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ**»(١).

وقال المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله «**مَا مِن خَارِجٍ خَرَجَ مِن بَيتِهِ في طَلَبِ العِلمِ**»، أي: الشَّرعِي، بِقَصْدِ التَّقَرُّبِ إلى اللهِ تَعَالى، «**إلا وَضَعَتْ لَهُ المَلائِكَةُ أجنِحَتَها رضًا بِمَا يَصنَعُ**» قال حُجَّةُ الإسلامِ: هَذَا إذَا خَرَجَ إلى طَلَبِ العِلمِ النَّافِعِ في الدِّينِ دُونَ الفُضُولِ الَّذِي أكَبَّ النَّاسُ عَلَيهِ وسَمَّوهُ عِلمًا. والعِلمُ النَّافِعُ ما يَزِيدُ في خَوفِكِ مِنَ اللهِ، ويَزِيدُ في بَصِيرَتِكَ بعيُوبِ نَفسِكَ وآفَاتِ عَمَلكَ وزُهدِك في الدُّنيَا، فإنْ دَعَتكَ نفسُكَ إلى الخُرُوجِ في طَلَبِ العِلمِ لغَيرِ ذَلِكَ فاعلَم أنَّ الشَّيطَانَ قَد دسَّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٦)، وأحمد (١٨٠٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٨٦)، والأرنؤوط في «تخريج المسند» (٣٠/ ١٦).

في قَلبِكَ الدَاءَ الدَّفِينَ، وهُوَ: حُبُّ المَالِ والجَاهِ، فإيَّاكَ أن تَغتَرَّ بِهِ فتكُونَ ضحكَةً له فتَهلك ثُم يسْخَرُ بِك)[1].

***

(١) «فيض القدير» (٥/ ٤٧٨).

طالب العلم تغشاه الرحمة وتحفه الملائكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

قال ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْجُلُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ، وَهَذَا إِنْ حُمِلَ عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ، فَلَا خِلَافَ فِي اسْتِحْبَابِهِ)(٢).

***

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٠٠).

دعاء النبي ﷺ لطالب العلم بالنضرة

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»(١).

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (خَصَّ مُبَلِّغَ الْحَدِيثِ كَمَا سَمِعَهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ؛ لِأَنَّهُ سَعَى فِي نَضَارَةِ الْعِلْمِ وَتَجْدِيدِ السُّنَّةِ، فَجَازَاهُ بِالدُّعَاءِ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْحَدِيثِ وَفَضْلِهِ وَدَرَجَةِ طُلَّابِهِ، حَيْثُ خَصَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِدُعَاءٍ لَمْ يُشْرِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ فَائِدَةٌ سِوَى أَنْ يَسْتَفِيدَ بَرَكَةَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ لَكَفَى ذَلِكَ فَائِدَةً، وَإِنَّمَا وَجَدَ فِي الدَّارَيْنِ حَظًّا وَقَسْمًا)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠). وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٨٨).

(٢) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٣٢٨).

أهل العلم أشد الناس خشية لله

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

قال شَيخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَخْشَاهُ إلَّا عَالِمٌ؛ فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَشِيَ اللهَ فَهُوَ عَالِمٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩])[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ مَنْ خَشِيَ اللهَ فَهُوَ عَالِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَخْشَاهُ إلَّا عَالِمٌ)[2].

وقَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَخْبَرَ أَنَّهم أهلُ خَشيَتِهِ بَل خصَّهم من بَين النَّاسِ بذلك فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾، وَهَذَا حَصْرٌ لِخَشْيَتِهِ

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢١).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٩٢).

فِي أُولِي الْعِلْمِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٨] وَقد أخبرَ أنَّ أهلَ خَشيَتِهِ هُم الْعُلَمَاءُ فَدلَّ عَلَى أنَّ هَذَا الْجَزَاء الْمَذْكُور للْعُلَمَاءِ بِمَجْمُوعِ النَّصَّينِ)(١).

وقالَ ابنُ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَفَى بخَشْيَةِ اللهِ عِلمًا، وكَفَى بالاغْتِرَارِ جَهْلاً)(٢).

وعَنْ مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يَعْجَبَ بِعِلْمِهِ، وَبِحَسْبِهِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللهَ)(٣).

وقال رجلٌ للشَّعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أيُّها العَالِم. فقَالَ: (إنَّمَا العَالِمُ مَن يَخْشَى اللهَ)(٤).

وقال عبدُ اللهِ بنُ المُبَارَك رَحِمَهُ اللَّهُ: (أكثَرُكُم عِلمًا ينبَغِي أن يَكُونَ أشَدَّكُم خَوفًا)(٥).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥١).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٢) بإسناد مرسل.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٤٩).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣٣).

(٥) «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٨).

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ مَا يَعْلَمُ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ أَخْشَعُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)(١).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ رَهْبَةَ الْعَبْدِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِاللهِ، وَإِنَّ زهَادَتَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِي الْآخِرَةِ)(٢).

وقال ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَهْلُ الخَشْيَةِ حقًّا هُم العُلَمَاءُ؛ العُلمَاءُ باللهِ وأسمَائِهِ وصِفَاتِهِ وأفعَالِهِ وأحكَامِهِ، الَّذِينَ يَعرِفُونَ مَا للهِ عزَّ وجَلَّ مِن الحِكَمِ والأسرَارِ في مَقدُورَاتِهِ ومشرُوعَاتِهِ جلَّ وعَلا، وأنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كَامِلٌ مِن كُلِّ الوُجُوهِ لَيسَ في أفْعَالِهِ نَقْصٌ، ولا في أحْكَامِهِ نَقْصٌ، فلهَذَا يَخْشَونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وفي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ العِلمِ، وأنَّه مِن أسبَابِ خَشْيَةِ اللهِ، والإنسَانُ إذَا وُفِّقَ للخَشْيَةِ عُصِمَ مِن الذُّنُوبِ، وإنْ أذنَبَ استَغْفَرَ وتَابَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّهُ يَخْشَى اللهَ ويخَافُهُ ويُعَظِّمَهُ)(٣).

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٣٥٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٨٩)

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٤٢١).

أهل العلم أكثر النَّاس معرفة للحق وإيمانًا به

قالَ تَعَالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ [آل عمران: ٧]

قال السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأمَّا أهْلُ العِلمِ الرَّاسخُونَ فِيهِ، الَّذِينَ وَصَلَ العِلمُ واليَقِينُ إلى أفْئِدَتِهِم، فأثْمَرَ لَهُم العَمَلَ والمَعَارِفَ -فَيعْلَمُونَ أنَّ القُرْآنَ كُلَّهُ مِن عِندِ اللهِ، وأنَّ كُلَّهُ حَقٌّ، مُحكَمَهُ ومُتَشَابِهَهُ، وأنَّ الحَقَّ لا يَتَنَاقَضُ ولا يَخْتَلِفُ.

فلِعِلمِهِم أنَّ المُحْكَمَاتِ، مَعْنَاهَا في غَايَةِ الصَّرَاحَةِ والبَيَانِ، يَردُّون إليها المُشْتَبِه، الَّذِي تَحصُلُ فِيهِ الحِيرَةُ لنَاقِصِ العِلمِ، ونَاقِصِ المَعْرِفَةِ.

فيَرُدُّونَ المُتَشَابِهَ إلى المُحْكَمِ، فيَعُود كُلُّهُ مُحكَمًا، ويقولُون: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ للأمُورِ النَّافِعَةِ، والعُلُومِ الصَّائِبَةِ)(١).

وقالَ تَعَالى: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ [الحج: ٥٤].

---

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٩٦٢).

قال السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنَّ اللهَ مَنَحَهُم مِنَ العِلْمِ، مَا بِهِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، والرُّشْدَ مِنَ الغَيِّ، فيُمَيِّزُونَ بَينَ الأمْرَينِ، الحَقِّ المُستَقِرِّ، الَّذِي يَحْكُمُهُ اللهُ، والبَاطِلِ العَارِضِ الَّذِي يَنْسَخُهُ اللهُ، بِمَا عَلَى كُلٍّ مُنْهُمَا مِنَ الشَّوَاهِد، وليَعْلَمُوا أنَّ اللهَ حَكِيمٌ، يُقَيِّضُ بَعضَ أنْوَاعِ الابتَلاءِ، لُيظْهِرَ بِذَلِكَ كَمَائِنَ النُّفُوسِ الخَيِّرَةِ والشِّرِّيرَةِ ﴿ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ، ويَزْدَادَ إيمَانُهُم عندَ دَفْعِ المعَارِض والشُّبَهِ.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: تَخْشَعُ وتَخضَعُ، وتُسَلِّمُ لِحِكْمَتِهِ، وهَذَا مِن هِدَايَتِهِ إيَّاهُم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ بسبَبِ إيمَانِهِم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ عِلمٌ بِالحَقِّ، وعَمَلٌ بِمُقتَضَاهُ، فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنيَا وفي الآخِرَةِ، وهَذَا النَّوعُ مِن تَثْبِيتِ اللهِ لعَبْدِهِ)[1].

***

(١) «تفسير السعدي» (٥٤٢).

أهل العلم أعرف الناس بالخير والشر

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص: ٨٠].

قال الحسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الفِتْنَةُ إذَا أقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وإذَا أدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ)(١).

وقال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَيَّنَ أنَّ عِظَمَ قَدْرِ الآخِرَةِ يُعلَمُ بالعِلْمِ)(٢).

وقالَ في مَوضِعٍ آخَرَ: (عُرِفَ أهْلُ العِلمِ بإيثَارِ الآخِرَةِ عَلَى الدّنْيَا)(٣).

وقَالَ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إيثَارُ ثَوَابِ الآجِلِ عَلَى العَاجِلِ حَالَةُ العُلَمَاءِ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ عَالِمٌ، ومَن آثَرَ العَاجِلَ عَلَى الآجِلِ فليسَ بِعَالِمٍ)(٤).

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ١٢٢).
(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٥)
(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٦٣)
(٤) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ١٤٧).

العلماء يستغفر لهم من في السماوات والأرض

عن أبي الدَّردَاء قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

قَالَ الخَطَّابِي رَحِمَهُ اللهُ: (قِيلَ في قَولِهِ «**وَتَسْتَغْفِرُ الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ**»: إن اللهَ قَدْ قَيَّضَ للحِيتَانِ وغَيْرِهَا مِن أنْوَاعِ الحَيَوَانِ بالعِلمِ عَلَى ألسِنَةِ العُلَمَاءِ أنْوَاعًا مِنَ المَنَافِعِ والمَصَالِحِ والإرفَاقِ، فَهُم الَّذِينَ بيَّنُوا الحُكْمَ فِيهَا فِيمَا يَحِلُّ ويَحْرُمُ مِنهَا، وأرْشَدُوا إلى المَصْلَحَةِ في بَابِهَا وأوصُوا بالإحْسَانِ إليهَا ونَفْيِ الضَّرَرِ عَنْهَا، فألهَمَهَا اللهُ الاستِغْفَارَ للعُلَمَاءِ مُجَازَاةً عَلَى حُسنِ صَنِيعِهِم بهَا وشَفَقَتِهِم عَلَيهَا)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).
(٢) «معالم السنن» (٤/ ١٨٣).

وقال المُنَاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولَولا العُلَمَاءُ الَّذِين يَتَلقَّونَ العِلمَ ويُعَلِّمُونَه النَّاسَ، ويُبَيِّنُونُ الحَلالَ مِنَ الحَرَامِ جِيلاً بَعدَ جِيلٍ؛ لهَلَكَتِ النَّاسُ والدَّوابُّ والأنْعَامُ حَتَّى حِيتَان البَحْرِ، وضاعَ الدِّينُ واضْمَحَلَّ العَدْلُ، فُحُقَّ لَهُم أن يَستَغْفِروا لَهُ)[1].

***

(١) «فيض القدير» (٤/ ١٨٩).

العلماءُ قَرَنَ اللهُ شهــادتهم بشهادته

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اسْتَشْهَدَ سُبحَانَهُ بأُولِي العِلمِ على أجَلِّ مَشْهُودٍ عَلَيهِ، وَهُوتَوحِيدُه، فَقَال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ وهذا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ العِلمِ وأهْلِهِ مِن وجُوهٍ: **أحدها**: استشْهَادُهم دُونَ غَيرِهِم من البَشَر. **والثَّاني**: اقترانُ شَهَادَتِهِم بِشَهَادَتِهِ. **والثالث**: اقتِرَانُهَا بِشَهَادَةِ مَلائِكَتِهِ. **والرَّابِع**: أنَّ في ضِمْنِ هَذَا تَزْكِيَتَهُم وتَعْدِيلَهُم، فإنَّ اللهَ لا يَستَشْهِدُ مِن خَلْقِهِ إلا العُدُولَ)[1].

***

(١) «بدائع التفسير» لابن القيم (١/ ٢٢٤).

من أقوال السلف في الحث على طلب العلم

عن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا)(١).

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ)(٢).

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنَّ أَحَدًا لَا يُولَدُ عَالِمًا، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلّمِ)(٣).

وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (تَعَلَّمُوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُخْتلَفُ إِلَيْهِ)(٤).

وقال أبو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٧٣)، ووصله الدارمي (٢٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٨٤) (٢٦١١٦) وغيرهم. وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٩٩).

(٢) صحيح البخاري، قبل حديث رقم (٧٣).

(٣) أخرجه زهير بن حرب في «العلم» (٢٨). وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه الدارمي (١/ ٢٥٨)، وصحح إسناده الشيخ حسين سليم الداراني.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ٢٣٦)، وزهير بن حرب في «العلم» (٢٨)، وابن أبي الدنيا في «الحلم» (٤٣). وإسناده صحيح.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (جَالِسُوا الْعُلَمَاءَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمَدُوكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ لَمْ يُعَنِّفُوكُمْ، وَإِنْ جَهِلْتُمْ عَلَّمُوكُمْ، وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُمْ)(١).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ كَانَ أَجْهَلَ مَا يكون)(٢).

وعن أبي مُسْلمٍ الخَولانِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إنَّ مَثَلَ العُلَمَاءِ في الأرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ في السَّمَاءِ يَهتَدِي بِهَا النَّاسُ ما بَدَتْ، فإذَا خَفِيَتْ تَحَيَّرُوا)(٣).

وقال عَونُ بنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلتُ لعُمَرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقَالُ: إنِ استَطَعْتَ أنْ تَكونَ عَالِمًا فَكُنْ عَالِمًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِع فَكُنْ مُتَعَلِّمًا، فإن لَمْ تَكُن مُتَعَلِّمًا فأَحِبَّهُم، فإن لَم تُحِبَّهُمْ فَلا تُبْغِضْهُم، فَقَالَ عُمَرُ: سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ جَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ لَهُ مَخْرجًا)(٤).

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥١٩).
(٢) «الحث على طلب العلم» للعسكري (٥٩).
(٣) «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٧٢٦)
(٤) «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٦٣).

وقال سُفْيَانُ الثَّورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَيسَ عَمَلٌ بَعْدَ الفَرَائِضِ أفْضَلَ مِن طَلَبِ العِلمِ)(١).

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذَا رَأَى الشَّيخَ لَمْ يَكْتُب الحَدِيثَ قَالَ: (لاجَزَاكَ اللهُ عَن الإسْلامِ خَيرًا)(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرُّجُلُ إلى العِلمِ أحْوَجُ مِنهُ إلى الخُبْزِ واللحْمِ)(٣).

وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنَ العَرَبِ: (اطْلُبُوا العِلْم، ويْحَكُم فإنِّي أخَافُ أن يَخْرُجَ مِنكُم فَيَصِير في غَيرِكُم، اطلُبُوهُ، وَيْحَكُمْ فإنَّهُ عِزٌّ وَشَرَفٌ في الدُّنيَا والآخِرَةِ)(٤).

وقال ابنُ مَهْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّجُلُ إلى العِلمِ أحْوجُ مِنهُ إلى الأكْلِ والشُّرْبِ)(٥).

وقال الشَّافِعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (طَلَبُ العِلمِ أفْضَلُ مِن صَلاةِ النَّافِلَةِ)(٦).

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦٣).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (ص١٦٧).
(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٦٥).
(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦٨).
(٥) «حلية الأولياء» (٩/ ٤).
(٦) «حلية الأولياء» (٩/ ١١٩).

المبحث الثاني

المـــالُ، ومنافعه وأضراره

تمهيد

ذَكرنَا أنَّ شَرِيعَةَ الإسْلامِ المُبَارَكَةَ جَاءَت بِبَيَانِ كُلِّ شيءٍ يُقَرِّبُ إلَى الجَنَّةِ ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ ﷺ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»(١).

وَقَدْ جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ بِبَيَانِ حَقِيقَةِ المَالِ، والحِكْمَةِ مِن وجُودِهِ، وكَيفِيَّةِ اسْتخْدَامِه، وبيَّنَتْ مَنَافِعَهُ وأضْرَارَهُ، وأنَّهُ وسِيلَةٌ ولَيسَ غَايَةً، وأنَّ مَن جَعَلَ جَمْعَه غَايَتَهُ على حِسَابِ دِينِهِ خَسِرَ دُنيَاهُ وأُخْرَاهُ، ولَم يَأتِهِ مِنْهُ إلا مَا كُتِبَ لَهُ، كما بَيَّنَتْ أنَّ صَاحِبَ المَالِ إذَا كَانَ عَالِمًا فإنَّهُ يَنتَفِعُ بِمَالِهِ وَيَسْتَخْدِمُهُ فِي الخَيرِ والبِرِّ، بِخِلافِ الجَاهِلِ؛ فإنَّ المَال قَدْ يكُونُ سَبَبًا في هَلاكِهِ في الدُّنْيَا، وعذَابِهِ في الآخِرَةِ.

وقَد قُمْتُ في هَذَا المَبْحَثِ بِبَيَانِ هَذِهِ الأمُورِ وغَيرِهَا.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٣).

تعريف المال لغة واصطلاحًا

تَعْرِيفُ المَالِ لُغَةً: المالُ مِن (مَوَلَ) وهُو: مَا مَلَكْتَهُ مِن جَمِيعِ الأَشْيَاءِ أو مِنْ كُلِّ شَيءٍ، وَالجَمْعُ: أَمْوَال.

وَيُقَالُ: مِلْتَ بَعْدَنَا، تَمَالُ، وَمُلْتَ، وَتَمَوَّلْتَ كُلُّهُ كَثُرَ مَالُكَ، وَرَجُلٌ مَالٌ؛ ذُو مَالٍ. وَقيلَ: كَثِيرُ المَالِ.[1]

ويقال: تَمَوَّل فلانٌ مَالًا، إذَا اتَّخَذَ قنْيَة مِن الـمَالِ.[2]

وَقَالَ ابنُ الأثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْمَالُ فِي الْأَصْلِ: مَا يُمْلَكُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مَا يُقْتَنَى وَيُمْلَكُ مِنَ الْأَعْيَانِ. وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ المَالُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِبِلِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْوَالِهِمْ)[3].

تَعرِيفُ المَالِ فِي اصطِلاحِ الفُقَهَاء: لَم يَضَع الشَّرعُ للمَالِ حَقِيقةً شَرْعِيَّة تُحَدِّدُ مَعْناه تَحْدِيدًا دَقيقًا، بَل تَرَكَ هَذَا لِمَا يَتَعَارَفُ النَّاسُ عَلَى أَنَّه مَالٌ، فَالعَرَبيُّ الذِي نَزَلَ القُرآنُ

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، (١٠/ ٤٤٠)، ومختار الصحاح، (ص٣٠١)، والقاموس المحيط، (ص١٠٥٩).
(٢) ينظر: تهذيب اللغة، (١٥/ ٢٨٥).
(٣) لسان العرب، (١١/ ٦٣٦)، تاج العروس، (٣٠/ ٤٢٨).

بِلُغَتِهِ حِينَمَا يَسْمَعُ لَفْظَةَ (المَال) يَفْهَمُ المُرَادَ مِنْهَا، كَمَا يَفْهَمُ مَا يُرَاد بِلَفْظِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ بَعْضَ أَصْحَابِ المَعَاجِم اللّغَوِيَّة يَقُولُون: «المَالُ مَعْرُوف»[1].

ولَكِنْ لَمَّا قَامَت المَذَاهِبُ الفِقْهِيَّة واسْتُعمِلَ لَفْظُ المَالِ مُرَادًا بِه مَعَانٍ اصطِلاحِيَّة انْشَغَلَ الفُقَهَاءُ بِوَضْعِ تَعَارِيفَ لَهُ، وَقَدْ قَامَ بِهَذَا الصَّدَدِ اصْطلاحَانِ رَئِيسيَّانِ: اصْطِلاحُ الحَنَفِيَّة، واصطِلاحُ الجُمْهُور.[2]

أمَّا **الحَنَفِيَّةُ**: فَيَشْتَرِطُونَ في الشَّيءِ شَرْطَينِ حَتَّى يَكُونَ مَالًا:

الأَوّل: أنْ يَكُونَ الشَّيءُ مِمَّا يُمكِنُ حِيَازَتُهُ وادّخَارُه، وَبِذلكَ تَخْرُجُ المَنَافِعُ كَسُكنَى الدَّارِ، ورُكُوبُ الدَّابَّةِ، فَلا تُعْتَبرُ مَالًا؛ لأنَّ المَنَافِعَ لا يُمْكِنُ حِيَازَتُها وادِّخَارُها.

الثَّاني: أن يَكُونَ الشَّيءُ مِمَّا لَهُ قِيمَةٌ مَادِّية بينَ النَّاسِ، فَلا يُعْتَبر أقَل مِن دِرْهَمٍ مَالًا، وَيَخْرُج بِذَلك حَبَّة القَمْحِ والأرز ونَحْوُهُما؛ لأنَّهُ لا يُنْتَفعُ بِها وَحْدَهَا عَادَةً.

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٢٨٤)، مختار الصحاح، (ص٣٠١).

(٢) المعاملات المالية، للدبيان، (١/ ١١٢).

قَالَ الزَّيْلَعِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المَالُ عِبَارَةٌ عَن إحْرَازِ الشَّيء وادِّخَارِه لِوَقْتِ الحَاجَةِ في نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وَذَلك لا يَتَحقَّقُ في المَنَافِعِ لِمَا ذَكَرْنَا، والدَّليلُ عَلَيهِ أنَّه يُقَالُ: فُلانٌ مُتَمَوّل. إذَا كَانَ لَهُ مَالٌ مَوْجُودٌ مُحَرز مدَّخر، ولا يُقَال: فلان مُتموّل. ولا مَالَ لَهُ بالمَأكُولِ والمَشْرُوبِ وَبِكلِّ ما يَسْتَعْمِلُهُ)[1].

وقَالَ المرغِينَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (اسْمٌ لِمَا يُتَمَوَّلُ بِهِ إلَّا أَنَّهُ لَا يُصَدَّقُ فِي أَقَلَّ مِنْ دِرْهَمٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَدُّ مَالًا عُرْفًا)[2].

وأمَّا المَالِكِيَّة فَالمَالُ عِنْدَهُم: كلُّ مَا ملكَ شَرعًا ولو قلَّ.[3]

وقَالَ بَعْضُهُم: مَا تتعلَّق به الأطْمَاعُ، ويُعدُّ للانتِفَاعِ.[4]

وعِندَ الشَّافِعِيَّةِ: لا يَقَعُ اسمُ مَالٍ إلا عَلَى مَا لَهُ قِيمَةٌ يُبَاعُ بِهَا، وتَكُونُ إذَا اسْتَهْلَكَهَا مُسْتَهْلِك أدَّى قِيمَتَهَا وإنْ قَلَّتْ، وَمَا لا يَطْرَحُهُ النَّاسُ مِن أمْوَالِهِم مِثْل الفِلْس، وَما أَشْبَهَ ذَلِكَ الَّذِي يَطْرَحُونَهُ.[5]

---

(١) تبيين الحقائق، (٥/ ٢٣٤)
(٢) الهداية في شرح بداية المبتدي، (ص١٧٢).
(٣) الفواكه الدواني، (٢/ ٢٨١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ١٣٤).
(٥) ينظر: الأم، للشافعي (٥/ ١٧١)، الأشباه والنظائر، للسيوطي، (ص٣٢٧).

وَعِند الحَنَابِلةِ: المَالُ عَينٌ مُبَاحَةُ النَّفْعِ بِلا حَاجَةٍ. أو مَا يُبَاحُ نَفْعُهُ مُطْلَقًا في كُلِّ الأحْوَالِ، وَيُبَاح اقْتِنَاؤه بِلا حَاجَةٍ.

فَخَرَجَ مَا لا نَفْعَ فِيهِ كَالحَشَرَاتِ، وَمَا فِيهِ مُحَرَّمٌ كَخَمْرٍ وَآلاتِ مَعَازِفَ، وَمَا لا يُبَاحُ إلا عِنْدَ الاضطِرَارِ كَالمَيْتَةِ، وَمَا لا يُبَاحُ اقْتِنَاؤُهُ إلا لِحَاجَةٍ كَالكَلْبِ.[1]

ومِمَّا سَبَقَ يتبيَّن:

أَنَّهُم مُتَّفِقُونَ عَلى أنَّ مَا كَانَ حَقِيرًا لا قِيمَةَ لَهُ؛ كَحَبَّةِ الأرزِ أو القَمحِ أو مَا كَانَ أقَلَّ من دِرْهَم: لا يُعد مَالًا.

وتَفَرَّدَ الحَنَفِيَّةُ بِشَرطِ الحِيازَةِ والادِّخار، فَلا يَعُدُّونَ الدّيُونَ مَالًا.

وزَادَ الحَنابِلَةُ شَرْطًا آخَرَ، وَهُو كَوْنُهُ مِمَّا يُبَاحُ نَفْعُهُ واقتِنَاؤُه بِلا حَاجَةٍ.

***

(١) ينظر: شرح منتهى الإرادات، ط١، (٢/ ٧)، والروض الندي شرح كافي المبتدي، (ص٢٠٤)، ومطالب أولي النهى، ط٢، (٣/ ١٢).

المـــالُ مـــال الله

إنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَينَهُمَا، فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾[الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال أيضًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ومَعْلُومٌ أنَّ خَالِقَ الشَّيءِ هُوَ مَالِكُه، وبِهَذَا جَاءَ القُرآنُ أيضًا، فَقَدْ قَالَ تَعَالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾[المائدة: ١٢٠].

فاللهُ يَمْلِكُ السَّمَاوَاتِ وكُلَّ شَيءٍ فِيهَا، ويَمْلِكُ الأرضَ وكُلَّ شَيءٍ فِيهَا، مِن صَغِيرٍ وكَبِيرٍ، وقَدِيمٍ وحَدِيثٍ، سَوَاء كَانَ لَهُ قِيمةٌ مَالِيةٌ أو لَمْ يكُن، وأنَّه جلَّ شَأنُهُ يَمْلِكُ كُلَّ هَذَا وحْدَه، لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ فِيهِ، قَالَ تَعَالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

ولَقَدْ أخْبَرَ اللهُ صَرَاحَةً أنَّ المَالَ هُوَ مَالُه سُبْحَانَهُ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ، فَقَالَ جَلَّ شَأنُه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾

[النور: ٣٣]، وقَالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقَالَ تَعَالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

ولقَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَى البَشَرِ أنْ يُنْفِقُوا مِن مَالِهِ الَّذِي رَزَقَهُم إيَّاه وجَعَلَهُم قوامًا عَلِيهِ، قَالَ تَعَالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧]، وما أمَرَهُم أن يُنفِقُوا إلا ذكَّرَهُم أنَّهُم يُنفِقُونَ مِن مَالِهِ الَّذِي آتَاهُم، قَالَ تَعَالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [المنافقون: ١٠].

وإذَا كَانَ المَالُ مَالَ اللهِ وهُوَ عَارِيةٌ في يَدِ البَشَرِ الَّذِين استَخْلَفَهُم عَلَيهِ، فَلَيسَ للبَشَرِ أنْ يَتَأَخَّرُوا عَن إنْفَاذِ أمْرِ اللهِ في هَذَا المَالِ، فَإِذَا أمَرَهُم أن يُؤْتُوا فِئَاتٍ مِنَ النَّاسِ شَيئًا مِن هَذَا المَالِ فَعَلَيهِم أن يُبَادِرُوا بِذلك، فَمَا يُؤتُونَهم إلا مِن مالِ اللهِ ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[النور: ٣٣].

أما إضَافَةُ المَالِ للبَشَرِ في بَعضِ النُّصوصِ القُرْآنِيَّةِ كقَولِهِ تَعَالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:

١٨٨]، وقَولِهِ: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢]، وقَولِهِ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة: ١٠٣] وغَيرِهَا مِن الآياتِ، فَلا تُفِيدُ أن البَشَرَ مَلَكُوا المَالَ، وإنَّمَا تُفِيدُ أنَّهم مَلَكُوا حَقَّ الانتِفَاعِ بِهِ، فَالمَالُ مَالُ اللهِ، وهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيءٍ، وإنَّمَا سَخَّرَهُ للبَشَرِ لِيَنْتَفِعُوا بِهِ، فَإِذَا أُضِيَف إليهِم فالإِضَافَةُ لا يُقصَدُ مِنهَا إلا مِلك الانتِفَاعِ.

وخلاصَةُ الأمْرِ أنَّ مَا في يَدِ البَشَرِ مِن مَالٍ عَلَى اختِلَافِ أنْوَاعِهِ وأشْكَالِهِ ومَقَادِيرِهِ ومَا يُنتِجُه هَذَا المَالُ مِن أمْوَالٍ إنَّمَا هُوَ جَمِيعًا مَالُ اللهِ، أقَامَ البَشَرَ عَلَيهِ واسْتَخْلَفَهُم فِيهِ، ومَنَحَهُم حَقَّ الانتِفَاعِ بِهِ.(١)

***

(١) «المال والحكم في الإسلام» لعبد القادر عودة (٤٧-٥٥) بتصرف.

المال وسيلة وليس غاية

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَيُحَدِّثُنَا، فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»(١).

أي: أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ المَالَ وأوجَدَهُ، وجَعَلَهُ بَينَ أيدِي بَنِي آدَمَ؛ لِيُقِيمُوا بِهِ شَعَائِرَ الدِّينِ، ويُظْهِرُوا مَعَالِمَ الشَّرْعِ مِن صَلاةٍ وَزَكَاةٍ وحَجٍّ وطَلَبٍ للعِلْمِ وغَيرِ ذَلِكَ، لا أن يَجْعَلُوا تَحْصِيلَ المَالِ غايَتَهُم ثُمَّ يُنفِقُونَه في المَلاهِي والمَلَذَّاتِ، وفي غَيرِ طَاعَةِ اللهِ تَعَالى.

ولَقَدْ ذَمَّ النَّبِيُّ ﷺ مَن جَعَلَ المَالَ غَايَتَهُ فَقَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢١٩٠٦) وصحح إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٩٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥).

أي أنَّهُ مخذُولٌ، وغَيرُ مُعانٍ، حَتَّى إذَا أصَابَتْهُ شَوكَةٌ فلا يَجِدُ مَن يُخْرجُها لَهُ.

وما أجَمَلَ مَا قَالَهُ ﷺ في حَقِّ المَالِ وَوَضْعِهِ في مَحِلِّهِ، فعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرة حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى**»(١).

***

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

المـــال فـتـنـة

لَقَدْ حَذَّرَ الشَّرْعُ مِن فِتْنَةِ المَالِ، وبَيَّنَ أَنَّهَا مَوطِنُ ضَعْفِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ؛ لأنَّ المَالَ قَرِيبٌ مِن صَاحِبِهِ، سَهْلُ المَأخَذِ، سَرِيعُ النَّجْدَةِ، سَهلُ الاستِثْمَارِ والتَّنْمِيَةِ، مَردُودُه وربْحُهُ سَرِيعٌ.

واللهُ عزَّ وجَلَّ الخَالِقُ العَلِيمُ بِمَا خَلَقَ يَعْلَمُ أَنَّ الحِرْصَ على المَالِ هُوَ أَعْمَقُ مَوَاطِنِ الضَّعْفِ في النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ، فهُوَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ومَوضِعُ الابتِلاءِ والامتِحَانِ، لذَلِكَ حذَّرَ مِن الافتِتَانِ بِهِ، بَلْ أَخْبَرَ أَنَّ مَن أَلهَتْهُ أَمْوَالُهُ وأولادُهُ عن ذِكْرِه أَنَّهُ مِنَ الخَاسِرِينَ أنفَسَهُمْ وأَهْليهِم يَومَ القِيَامَةِ، فقَال تَعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون:٩].

وقال تَعَالى: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ ﴾ [المؤمنون: ٥٥/٥٦].

أي: أَيَظُنُّونَ أَنَّ زِيادَتنَا إيَّاهُم بالأَمْوَالِ والأولادِ، دَلِيلٌ علَى أَنَّهُم مِن أَهْلِ الخَيرِ والسَّعَادَةِ، وأَنَّ لَهُم خَيرُ الدُّنيَا والآخِرَةِ، وهَذَا مُقَدَّمٌ لَهُم؟! كَلا، لَيسَ الأَمْرُ كَذِلكَ.

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّما نُملِي لَهُم ونُمْهلْهُم ونُمِدُّهُم بالنِّعَمِ، ليزْدَادُوا إثمًا، وليَتوفَّرَ عِقَابُهم في الآخِرَةِ، وليَغْتَبِطُوا بِمَا أوتُوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤][1].

وقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال:٢٨].

أي: واعْلَمُوا أيُّهَا المُؤمِنُونَ أنَّ أمْوَالَكُم الَّتِي استَخْلَفَكُم اللهُ فِيهَا، وأولادَكُم الَّذِينَ وهَبَهُم اللهُ لَكُم اختِبَارٌ مِنَ اللهِ وابتَلاءٌ لِعِبَادِه؛ لِيَعْلَمَ أيشْكُرونَهُ عَلَيهَا ويُطِيعُونَهُ فِيهَا، أو يَنْشَغِلونَ بِهَا عَنْهُ؟ واعْلَمُوا أنَّ اللهَ عِنْدَهُ خَيرٌ وثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَن اتَّقَاهُ وأطَاعَهُ[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١].

قَالَ شَيخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ﷺ: (وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ يَتَنَاوَلُ النَّظَرَ إلى الأمْوَالِ واللِّبَاسِ والصُّوَرِ وغَيرِ ذَلِكَ مِن

(١) «تفسير السعدي» (٥٥٣).

(٢) «التفسير الميسر» (١٨٠).

مَتَاعِ الدُّنيَا، أما اللبَاسُ والصُّوَرُ فَهُمَا اللذَانِ لا يَنظُرُ اللهُ إلَيهِمَا، كَمَا في صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَن أَبِي هَريرَةِ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريم: ٧٤] وذَلِكَ أنَّ اللهَ يُمَتِّعُ بالصُّوَرِ كَمَا يُمَتِّعُ بالأمْوَالِ، وكلاهُمَا مِن زَهْرَةِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، وكِلاهُمَا يَفْتِنُ أهْلَهُ وأصْحَابَهُ ورُبَّمَا أفْضَى بِهِ إلى الهَلاكِ دُنيَا وأُخْرَى.

والهَلكَى رَجُلانِ: فَمُستَطِيعٌ وعَاجِزٌ، فالعَاجِزُ مَفْتُون بالنَّظَرِ ومَدِّ العَينِ إليهِ، والمُستَطِيعُ مَفْتُون فِيمَا أوتِيَ منْهُ، غَارِقٌ، قَد أحَاطَ بِهِ مَا لا يَستَطِيعُ إنقَاذَ نَفْسِهِ مِنْهُ، وَهَذَا المَنظُورُ قَدْ يَعْجَبُ المُؤمِنُ وإن كَانَ المَنْظُورُ مُنَافِقًا أو فَاسِقًا كَمَا يُعجِبُهُ المَسْمُوعُ مِنْهُم قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

فَهَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى مِنَ النَّظَرِ إليهم واستِمَاعِ قَولِهِم فَلا يَنْظُر إليهِم ولا يَسْمَعُ قَولَهُم، فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قدْ

أَخْبَرَ أَنَّ رؤيَاهُم تُعْجِبُ النَّاظِرِينَ إليهِم، وأَنَّ قَولَهُم يُعْجِبُ السَّامِعِينَ)[١].

وقالَ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: لا تَمُدَّ عَينيكَ مُعجَبًا، ولا تُكَرِّر النَّظَر مُستَحْسِنًا إلى أحْوَالِ الدُّنيا والمُمَتَّعِينَ بها، من المآكلِ والمشَارِبِ اللذِيذَةِ، والمَلابِسِ الفَاخِرَةِ، والبُيُوتِ المُزَخْرَفَةِ، والنِّسَاءِ المُجَمَّلَةِ، فإنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنيا، تَبْتَهِجُ بِهَا نُفُوسُ المُغْتَرِّينَ، وتَأْخُذُ إعجَابًا بأبْصَارِ المُعْرِضِينَ، ويتَمَتَّعُ بها - بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الآخِرَةِ - القَومُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ تَذْهَبُ سَرِيعًا، وتَمْضِي جَمِيعًا، وتَقْتُلُ مُحِبِّيهَا وعُشَّاقَهَا، فَيَنْدَمُونَ حَيثُ لا تَنفَعُ النَّدَامةُ، ويَعْلَمُونَ مَا هُم عَلَيهِ إذَا قَدَّمُوا في القِيَامَةِ، وإنَّمَا جَعَلَهَا اللهُ فِتنَةً واخْتِبَارًا، لِيَعلَمَ مَن يَقِفُ عندَهَا ويَغْترُّ بِهَا، ومَن هُوَ أحسَنُ عَمَلاً كمَا قالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف:٧]، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ العاجِلُ مِنَ العِلْمِ والإيمَانِ وحَقَائِقِ الأعمَالِ الصَّالِحَةِ، والآجِلُ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ والعَيشِ السَّلِيمِ في جِوَارِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ﴿خَيْرٌ﴾ مِمَّا

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٩٨).

مَتَّعَنَا بِه أزواجًا في ذَاتِهِ وصِفَاتِهِ ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ لكَونِهِ لا يَنْقَطِعُ أكُلُهَا دَائِمٌ وظِلُّهَا كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى:١٦-١٧] وفي هَذِهِ الآيَةِ إشَارَةٌ إلى أنَّ العَبْدَ إذَا رَأى مِن نفْسِهِ طُمُوحًا إلى زِينَةِ الدُّنيَا وإقبَالاً عَلَيها أن يُذَكِّرَهَا مَا أمَامَهَا مِن رِزْقِ رَبِّه وأنْ يُوازِن بَين هَذَا وَهَذَا)(١).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤](٢).

قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: (أَيْ: مَعَ وُجُودِ فِعْلِهِ إِيَّاهَا «**مَا يُحِبُّ**» أَيْ: مِنْ أَسْبَابِهَا «**فَإِنَّمَا هُوَ**» أَيْ: ذَلِكَ الْإِعْطَاءُ «**اسْتِدْرَاجٌ**» أَيْ: مَكْرٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا

(١) «تفسير السعدي» (٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٣١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٣)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤١٣): إسناده قوي. وقال شعيب الأرنؤوط في «تخريج المسند» (١٧٣١١): حديث حسن.

يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ [الأعراف: ١٨٢]. قال الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستِدْرَاج هُوَ الأخْذُ في الشَّيءِ، والذِّهَاب فِيهِ دَرَجة فَدَرَجَة، كالمَراقِي والمَنَازِل في ارتِقَائِهِ ونُزُولِهِ، ومَعْنَى استِدْرَاجِ اللهِ: استدْرَاجُهم قَلِيلاً قَلِيلاً إلى ما يُهلِكُهُم، ويُضَاعِفُ عُقبَاهُم من حَيثُ لا يَعْلَمُون مَا يُرادُ بِهم، وذَلِكَ أن تَوَاتر الله نِعْمَه علَيهِم مَعَ انهمَاكِهِم في الغَيِّ، فَكُلَّمَا جَدَّدَ عَلَيهِم نِعَمَهُ ازدَادُوا بَطَرًا وجَدَّدُوا مَعْصِية، فيَتَدَرَّجُون في المَعَاصِي بِسَبَبِ تَرَادُفِ النِّعَمِ، ظَانِّينَ أنَّ متَوَاتِرَة النِّعَمِ أثَرَةٌ من اللهِ وتَقْرِيبٌ، وإنَّمَا هي خُذلانٌ منْهُ وتَبْعَيدٌ، «ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ» أي: استشهادًا أو اعتضَادًا ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ ﴾ أي: عَهدَهُ سُبحَانه، أو تَركُوا أمرَهُ ونَهيَهُ، وهُو المَعْني بقَولِهِ: ﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ أَيْ: وُعِظُوا ﴿ فَتَحْنَا ﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَيُشَدَّدُ، ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي: من أسْبَابِ النِّعَمِ الَّتِي في الحَقِيقَةِ من مُوجِبَاتِ النِّقَمِ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ أي: أعْطُوا من المَالِ والجَاهِ وصِحَّةِ البَدَنِ وطُولِ العُمرِ ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ أي: فَجأةً بالموتِ أو العَذَابِ، فإنَّهُ أشَدُّ في تِلكَ الحَالَةِ ﴿فَإِذَا هُم

مُّبْلِسُونَ﴾ أي: واجِمُونَ سَاكِتُونَ مُتَحَسِّرُون مُتَحَيِّرُون آيسُونَ)(١).

وعن عَمْرو بنِ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢).

قال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: أنَّ المُنَافَسَةَ في الدُّنيَا قَد تَجُرُّ إلى هَلاكِ الدِّين)(٣).

وعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**»(٤).

ومعنى الحَدِيثِ: أنَّ لِكلِّ أُمَّةٍ من الأُمَمِ فِتنَةً، تَخْتَصُّ بهَا وتَكُونُ سَببًا لِضَلالِهَا ومَعْصِيَتِها، وأكثرُ ضَلالِ هَذِهِ الأمَّةِ،

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للقاري (٨/ ٣٢٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).
(٣) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢٦٣).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (١٧٤٧١) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٢).

وسَبَبُ عِصْيَانِهَا هُوَ المَالُ، فإنَّ الحِرْصَ عَلَى المَالِ والانْشَغالُ بِجَمْعِهِ عَن طَاعَةِ اللهِ، سَيُؤدِّي إلَى كَثْرَةِ الحِسَابِ عَلَيهِ، وتَعَدُّدِ الحُقُوقِ فِيهِ للفُقَرَاءِ والمستَحِقِّين.

كَذَلِكَ فإنَّ الحِرْصَ عَلَى المَالَ يُؤدِّي إلى تَضْييعِ حَقِّ اللهِ في العِبَادَةِ، والانشِغَالِ عن الوَاجِبَاتِ كالصَّلوَاتِ وحُضُورِ مَجَالِسِ العِلْمِ وتَركِ العِنَايةِ بِتَرْبِيَةِ الأولادِ، وإصْلاحِ الأهْلِ حَتَّى لا يَجِدَ الرَّجُل وقتًا لِتَعْليمِ أولادِهِ وتَرْبِيَتِهِم التَّربيةَ الصَّالِحَةَ، فيَتْركُهُم هَمَلاً وعُرْضَةً للانحِرَافِ والضَّيَاعِ، وهو المَسؤولُ عَنْهُم أمَامَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ.

***

المال ينفع العالم ويضر الجاهل

عن أَبي كَبْشَةَ الأَنمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أهلَ الدُّنْيَا: أَرْبَعَةَ أقسَامٍ، **خَيرُهُمْ**: من أوتِيَ عِلمًا وَمَالاً فَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى نَفْسِهِ بِعِلْمِهِ وَمَالِهِ، **ويليهِ فِي المَرْتَبَةِ**: من أوتِيَ عِلمًا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢٤).

وَلَمْ يُؤْتَ مَالاً، وإن كَانَ أجْرُهُمَا سَوَاء فَذَلِك إِنَّمَا كَانَ بِالنِّيَّةِ، وإلا فَالمُنفِق الْمُتَصَدِّق فَوْقَهُ بِدَرَجَة الإنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ، والعَالِمُ الَّذِي لَا مَال لَهُ إِنَّمَا سَاوَاهُ فِي الأجْرِ بِالنِّيَّةِ الجَازِمَةِ المُقتَرِن بهَا مقدُورُهما وَهُوَ القَوْلُ الْمُجَرَّد، **الثَّالِثُ**: مَن أوتِيَ مَالاً وَلَمْ يُؤْتَ عِلمًا فَهَذَا أسْوَأ النَّاسِ مَنزلَة عِنْدَ اللهِ؛ لَأنَّ مَالَهُ طَرِيقٌ إِلَى هَلَاكِهِ فَلَو عَدِمَهُ لَكَانَ خيرًا لَهُ، فَإِنَّهُ أُعْطِيَ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ إلى الْجَنَّة فَجَعَلَهُ زَادًا لَهُ إِلَى النَّار، **الرَّابِع**: من لم يُؤْتَ مَالاً وَلَا عِلْمًا، وَمن نيَّته أَنَّهُ لَو كَانَ لَهُ مَالٌ لعَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَهَذَا يَلِي الْغَنِيَّ الْجَاهِل فِي المَرْتَبَةِ، ويساوِيهِ فِي الوزرِ بِنِيَّتِهِ الجَازِمَةِ المُقْتَرِن بهَا مقدُورُها، وَهُوَ القَوْل الَّذِي لم يَقْدِر عَلَى غَيرِهِ، فَقَسَّم السُّعَدَاء قِسمَيْنِ، وَجَعَلَ العِلمَ وَالعَمَل بِمُوجبِه سَبَبَ سَعَادَتِهمَا، وَقَسَّمَ الأشْقِيَاءَ قِسمَيْنِ وَجَعَلَ الجَهْل وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ سَبَبَ شَقَاوَتِهمَا، فَعَادَت السَّعَادَةُ بِجُمْلَتِهَا إِلَى العِلمِ ومُوجِبِهِ، والشَّقَاوَةُ بِجُمْلَتِها إلى الْجَهْلِ وَثَمَرَتِهِ)[1].

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٩).

كل امرئ سَيُسْأَلُ عن ماله

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»(١).

قال المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (عنْ مَالِهِ مِن أينَ اكتَسَبَهُ وفِيمَ أنفَقَهُ، أي: ولَو حَلالاً. وسُمِّيَ المَالُ مَالاً؛ لأَنَّهُ يُميلُ القُلُوبَ عَنِ اللهِ تَعَالى)(٢).

وقَالَ المُبَارَكفُوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَولُهُ: «وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ» أي: أمِنْ حَرَامٍ أو حَلالٍ، «وفِيمَا أنفَقَهُ» أي: في طَاعَةٍ أو مَعْصِيَةٍ)(٣).

***

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٥٤)، وغيرهما. وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٠٠).
(٢) «فيض القدير» (١/ ١٥١)
(٣) «تحفة الأحوذي» (٧/ ٨٥)

المبحث الثالث

العلم أجلُّ ما يُنفق فيه المال

تمهيد

إنَّ اللهَ تَعَالَى لمَّا أنزَلَ المَالَ أمَرَ بإنفَاقِهِ في سُبُلِ الخَيرِ الَّتِي تُقَرِّبُ إلَيهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، فَقَالَ: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقَالَ تَعَالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون:١٠]، وقال عزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن: ١٦].

ولا شَكَّ أنَّ أفضَلَ مَا يُنفَقُ فِيهِ المَالُ مَا كَانَت المَصْلَحَةُ الشَّرْعِيَّةُ فِيهِ أعْظَمَ؛ ولا أعْظمَ مِن مَصلَحَةِ هِدَايَةِ النَّفْسِ والنَّاسِ إلى رَبِّ العَالَمِينَ، وتَعْرِيفِهم بِهِ وبِما يُرِيدُه؛ لِذَلِكَ كَانَ العِلْمُ أفْضَلَ وأجلَّ مَا يُنفَقُ فِيهِ المَالُ.

وسُبُلُ إنْفَاقِ المَالِ مِنْ أجْلِ تَحْصِيلِ العِلْمِ أو مُسَاعَدَةِ أهْلِهِ عَلَى تَحْصِيلِهِ كَثِيرَةٌ؛ منها: إنفَاقُهُ فِي الرِّحْلَةِ إلى

العُلَمَاءِ، وشِرَاءِ الكُتُبِ، وكَفَالَةِ طُلَّابِ العِلْمِ، وبِنَاءِ دُورِ العِلْمِ، وغَيرِ ذَلِكَ.

وَقَد سَلَكَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ أكْثَرَ هَذِهِ السُّبُل؛ لِمَا عَلِمُوه مِن جَزِيلِ فَضْلِ تَحْصِيلِ العِلْمِ وتَبْلِيغِهِ، ومَكَانَةِ أهْلِهِ في الدُّنيَا والآخِرَةِ.

وَقَد ذَكَرْتُ في هذا المَبْحَثِ بَعْض تِلك السُّبُلِ الَّتِي سَلَكَهَا سَلَفُنَا الصَّالِحُون؛ رَجَاءَ أنْ يَتَأَسَّى بِهم طُلَّابُ العِلْمِ في هَذَا الزَّمَانِ.

***

بذل المال في الرحلة إلى العلماء

إنَّ تَارِيخَنَا الإِسْلامِي مَلِيءٌ بالأمْجَادِ وبِالصَّفَحَاتِ المُشْرِقَةِ لطُلَّابِ علمٍ أهلِ فَضْلٍ واجتِهَادٍ.

فمن أبْرَزَ مَا يُميزُ تارِيخَنَا الإِسْلامِي جُهودُ عُلمَائِنَا الأمَاجِد الَّذِينَ بَذَلُوا في سَبِيلِ العِلْمِ الأمْوالَ الكَثِيرَة، وأفْنَوا أعْمَارَهُم وتَرَكُوا أبْنَاءَهُم ودِيَارَهُم، وخَرَجُوا بَحْثًا عَن العِلْمِ النَّافِع.

ولَقَد سَجَّلَ التَّارِيخُ قَصَصًا وَوَقَائِعَ لطُلَّابِ علمٍ أفْذَاذ، للهِمَمِ الضَّعِيفَةِ شُحُّاذ، ضَرَبُوا أمْثِلَةً كَافِيَةً، ولَبِسُوا أوسِمَةً غَالِيَةً، وتَبَوَّءوا فِي النَّاسِ مَنَازِلَ عَالِيَةً.

فهَا هُوَ مُوسَى عليه السلام نَبِيُّ اللهِ وكَلِيمُهُ، رحلَ إلى الخَضِرِ، فقَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦]

قال الخَطِيبُ البَغْدَادِي رَحِمَهُ اللهُ: (قال بعضُ أهلِ العِلْمِ: إنَّ فِيمَا عَانَاهُ مُوسَى عليه السَّلام مِنَ الدَّأبِ والسَّفَرِ والصَّبْرِ عَلَيهِ مِن التَّوَاضُعِ والخُضُوعِ للخضرِ بَعْدَ مُعَانَاةِ قَصدِهِ مَعَ

محلِّ مُوسَى عليه السلام من اللهِ ومَوضِعِهِ مِن كَرَامَتِهِ وشَرَفِ نُبُوَّتِهِ= دِلالَةٌ عَلَى ارتِفَاعِ قَدْرِ العِلْمِ وعُلُوِّ مَنْزِلَةِ أَهْلِهِ، وحُسْنِ التَّوَاضُعِ لِمَن يُلتَمَسُ مِنْه ويُؤخَذُ عَنْه، وَلَو ارتَفَعَ عَن التَّوَاضُعِ لِمَخْلوقٍ أحدٌ بارتِفَاعِ دَرَجةٍ وسُمُوِّ مَنزِلَةٍ لسَبَقَ إلى ذَلِكَ مُوسَى، فلمَّا أظهَرَ الجِدَّ والاجتِهَادَ والانزِعَاجَ عَنِ الوَطَنِ والحِرصَ عَلَى الاستِفَادةِ مع الاعْتِرَافِ بالحَاجَةِ إلى أن يَصِلَ مِن العِلمِ إلى مَا هُو غَائِبٌ عنْه؛ دلَّ عَلَى أنَّه لَيسَ في الخَلْقِ مَن يَعْلُو عَلَى هَذِهِ الحَالِ ولا يكبُرُ عَنْهَا)(١).

ورَحَلَ جَابِر بنُ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ المَدِينَةِ إلى الشَّامِ مَسِيرَةَ شَهرٍ إلَى عَبْدِ اللهِ بنِ أُنَيسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حَدِيثٍ وَاحِدٍ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ يَقُول: «**يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ عُراةً غُرلاً بُهمًا**»، قُلنَا: مَا بُهمًا؟ قَالَ: «**لَيسَ مَعَهُم شَيءٌ، فَيُنَادِيهِم رَبُّهُم بِصَوتٍ يَسْمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَن قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وأحدٌ مِن أَهْلِ النَّارِ يَطلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، ولا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِن**

(١) «الرحلة في طلب الحديث» (ص:١٠٢).

أَهْلِ النَّارِ أن يَدخُلَ النَّارَ وأحَدٌ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ يَطْلُبُه بِمَظْلَمَةٍ»، قُلتُ: كَيفَ وإنَّمَا نأتِي اللهَ عُراةً بُهمًا؟ قال: «**بالحَسَنَاتِ والسَّيِّئاتِ**»(١).

وَرَحَلَ أبُو أيُّوبَ الأنصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلَى عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمِصْرَ لِيَسْمَعَ مِنْهُ حَدِيثَ السّتْر عَلَى المُسْلِمِ.

وَرَحَل رجُلٌ مِنَ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ إلى أبِي الدَّردَاءِ في دِمَشْق لِيَسْمَعَ مِنْهُ حَدِيثًا واحِدًا.

ورَحَلَ عُقبةُ بنُ الحَارِثِ مِن مَكَّةَ إلَى المَدِينَةِ ليسْأَلَ الرَّسُولَ ﷺ في شَأنِ امرأةٍ تَزَوَّجَهَا، فأخبَرَتْهُ عَجُوزٌ أنَّهَا أرْضَعَتْهُ وإيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «**كَيفَ وَقَد قِيلَ؟!**» فَفَارَقَهَا عُقْبةُ ونَكَحَتْ زَوجًا غَيرَهُ.(٢)

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في الفَتْحِ: رَوَى الدَّارِمِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ بُسْر بنِ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (إنْ كنتُ لأرْكَبُ إلَى مِصرٍ من الأمْصَارِ في الحَدِيثِ الوَاحِدِ)(٣).

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٨٩) والحديث صحيح.

(٢) رواه البخاري (٨٨).

(٣) «فتح الباري» (١/ ١٩٢).

وَعَنْ أَبِي العَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (كُنَّا نَسْمَعُ الحَدِيثَ عَنِ الصَّحَابَةِ، فَلا نَرْضَى حَتَّى نَرْكَبَ إِلَيهِم فَنَسْمَعهُ مِنْهُم)(١).

وَعَن ابنِ القَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: (خَرَجْتُ إِلَى الحِجَازِ اثنَتَي عَشْرَةَ مَرَّةً، أَنْفَقْتُ كُلَّ مَرَّةٍ أَلْفَ دِينَارٍ)(٢).

وَلَمْ يَخْرُج ابنُ القَاسِمِ لِمَالِكٍ حَتَّى سَمِعَ مِن المِصْرِيينَ، وأنفَقَ في سَفْرَتِهِ إِلَى مَالِكٍ ألفَ مِثْقَال.(٣)

وقال الحُسَينُ بنُ الحَسَن رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ مُحَمَّد بنَ يَحيَى الذُّهْلِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (ارْتَحَلْتُ ثَلاثَ رحْلاتٍ، وأنفَقْتُ عَلَى العِلمِ مِئةً وخَمْسِينَ ألفـًا، وَلمَّا دَخَلْتُ البَصْرَةَ استَقْبَلتنِي جَنَازَةُ يَحيَى القَطَّانِ عَلَى بَابِ البَلَدِ)(٤).

وقَالَ هِشَامُ بنُ عُبيدِ اللهِ الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَقِيتُ ألفًا وسَبْعَمائَة شَيخٍ، وأنفَقْتُ فِي العِلمِ سَبْعَمائةَ ألفِ دِرْهَم)(٥).

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٩٢).
(٢) «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣/ ٢٧٦).
(٣) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١/ ١٥٧).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٩/ ٣٤٢).
(٥) «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٠٠).

وقالَ أبُو بَكرٍ الأصبَهَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ارتَحَلتُ إلى مِصرَ ومَعِي ثَمَانُونَ ألفَ دِرْهَم، فأنفَقْتُها عَلَى ثَمَانِينَ خَتْمَةٍ)[1].

***

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٨١).

بذلُ المالِ في شراءِ الكتُبِ

إنَّ مِن أهمِّ السُّبُلِ لتَحصِيلِ العِلمِ الشَّرعِي -خَاصةً في هَذَا الزَّمَانِ -هو قِرَاءَةُ ودِرَاسَةُ الكُتُبِ العِلمِيَّةِ النَّافِعَةِ.

وقَدْ كَثُرَتْ طِباعَةُ الكُتُبِ الشَّرعِيَّةِ في وَقتِنَا الحَاضِرِ، واتَّسَعَتْ اتِّسَاعًا كبيرًا، لمْ يكُن له مَثِيلٌ من قَبْل، وكَثُرَ التَّأليفُ في الأُصُولِ والفُرُوعِ، وفي دَقَائِقِ المَسَائِلِ، ومُختَلفِ الفُنُونِ، وتَنَوَّعَت طَبعَاتُ الكُتُبِ؛ فأصبَحَ هُنَاك طَبعَاتٌ جيِّدة، وأُخرَى رَدِيئَة، وهُنَاك مُحَقَّقَةٌ، وأخرَى لَيسَت كَذِلك، ولا سَبِيلَ لِطَالِبِ العِلمِ المُجِدِّ إلا أن يَشْتَرِي الطَبعَاتِ المُوثَّقَة المُحَقَّقَةِ.

ولكنْ يَرْغَبُ بَعْضُ الطّلابِ أحيانًا عَن شِرَاءِ بَعْضِ الكُتُبِ المُهِمَّةِ؛ بِسَبَبِ ارتفَاعِ ثَمَنِهَا، وهَذَا لم يكُنْ مِن عَمَلِ عُلمَاءِ السَّلَفِ، فإنَّ مِنْهُم مَن كَانَ يُنْفِقُ جُلَّ مَالِهِ في شِرَاءِ الكُتُبِ، بَل إنَّ مِنهُم مَن بَاعَ دَارَه من أجلِ شِرَاءِ مَكتبَةٍ!

فعَن أحمَدَ بنِ أبِي سُرَيجٍ قَالَ: سَمِعتُ الشَّافِعيَّ يقولُ: (أنفَقتُ عَلَى كُتُبِ مُحَمَّدٍ بنِ الحَسَنِ سِتِّينَ دِينَارًا ثُمَّ تَدَبَّرتُها فَوَضَعْتُ إلَى جَنبِ كُلِّ مَسأَلَةٍ حَدِيثًا، يعنِي: رَدًّا عَلَيهِ)[١].

وقَالَ طَلحَةُ بنُ مُظَفَّر العلثِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (بِيعَت كُتُبُ ابنِ الجَوَالِيقِي فِي بَغدَاد، فَحَضَرَهَا الحَافِظُ أَبُو العَلاءِ الهَمَدَانِي، فَنَادَوا عَلَى قِطْعَةٍ مِنْهَا: سِتِّينَ دِينَارًا، فاشْتَرَاهَا الحَافِظُ أَبُو العَلاء بِسِتِّينَ دِينَارًا، والإِنظَارُ مِن يَومِ الخَمِيسِ إلَى يَومِ الخَمِيسِ. فَخَرَجَ الحَافِظُ، واستَقبَلَ طَرِيقَ هَمَدَان، فَوَصَلَ فَنَادَى عَلَى دَارٍ لَهُ، فَبَلَغَتْ سِتِّينَ دِينَارًا. فَقَالَ: بِيعُوا. قَالُوا: تَبْلُغُ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ. قَالَ: بِيعُوا. فَبَاعُوا الدَّارَ بِسِتِّينَ دِينَارًا فَقَبَضَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إلَى بَغْدَاد. فَدَخَلَهَا يَومَ الخَمِيسِ، فَوَفَّى ثَمَنَ الكُتُبِ، ولَم يَشْعُر أَحَدٌ بِحَالِهِ إلا بَعْدَ مُدَّةٍ)[٢].

وخَلَّفَ يَحيَى بنُ مَعَينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِن الكُتُبِ مِئَةَ قِمَطْرٍ[٣] وأَرْبَعَةَ عَشْرَ قِمَطْرًا وأَرْبَعَةَ حبَابٍ شَرَابِيَّة مَمْلُوءَةً كُتُبًا.[٤]

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٧٨).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٧٧).

(٣) قال في القاموس (ص:٤٦٥): القِمَطْرُ، كسِبَحْل: الجَمَلُ القَوِيُّ الضَّخْمُ، والرجلُ القصيرُ، كالقِمَطْرَى، كزِبَعْرَى، وما يُصانُ فيه الكُتُبُ.

(٤) «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٨٧).

وجَاءَ عَن مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ اللهِ السُّلَمِي المُرسِي الأندَلُسِي رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَتَبَ وَقَرَأَ وَجَمَعَ مِنَ الكُتُبِ النَّفِيسَةِ كَثِيرًا، ومَهْمَا فُتِحَ بِهِ عَلِيهِ صَرَفَهُ في ثَمَنِ الكُتُبِ.(١)

وقَالَ الذَّهَبِيُّ عَن القَاضِي عَبْدِ الرَّحِيمِ بنِ عَلِيٍّ اللخْمِي: (بَلَغَنَا أنَّ كُتُبَهُ الَّتِي مَلَكَهَا بَلَغَتْ مِئَةَ ألفِ مُجَلَّدٍ، وَكَانَ يُحَصِّلُهَا مِن سَائِرِ البُلْدَانِ)(٢).

وقال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ عَن ابنِ المُلَقِّنِ رَحِمَهُ اللهُ: (وكَانَ يَقْتَنِي الكُتُبَ، بَلَغَنِي أَنَّهُ حَضَرَ في الطَّاعُونِ العَام بَيعَ كُتُبِ شَخْصٍ مِنَ المُحَدِّثِينَ، فَكَانَ وَصيُّه لا يَبِيعُ إلا بالنَّقدِ الحَاضِرِ، قَالَ: فَتَوَجَّهتُ إلى مَنزِلِي فأَخَذْتُ كِيسًا مِنَ الدَّرَاهِمِ، وَدَخَلتُ الحَلقَةَ فَصَبَبْتُهُ فَصرتُ لا أزِيدُ في الكِتَابِ شَيئًا إلا قَالَ: بِعْ لَهُ، فَكَانَ فِيمَا اشْتَرَيتُ «مُسنَد أحْمَدَ» بثَلاثِينَ دِرهَمًا...)(٣).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣١٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٤١).

(٣) «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٢/ ٢١٧).

وقال ابن حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابْنِ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَانَ مُغْرَى بِجمْعِ الكُتُبِ فَحَصَّلَ مِنْهَا مَا لَا يُحْصَر، حَتَّى كَانَ أَوْلَادُه يَبِيعُونَ مِنْهَا بَعْدَ مَوتِهِ دَهْرًا طَويلاً سُوَى مَا اصْطَفَوه مِنْهَا لأَنْفُسِهِمْ)(١).

وقال الشَّيخُ رَاغِبٌ الطَّبَّاخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانَ عَلَّامَةُ حَلَب الشَّيخُ أحْمَدُ الحَجَّارُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُحِبُّ اقْتِنَاءَ الكُتُبِ، حَتَّى سَمِعْنَا أَنَّهُ رَأَى كِتَابًا يُبَاعُ، وَلَم يَكُن مَعَهُ دَرَاهِمُ، وَكَانَ عَلَيهِ ثِيَابٌ، فَنَزَعَ بَعضَهَا وبَاعَهُ، واشتَرَى الكِتَابَ فِي الحَالِ)(٢).

لِذَلِكَ حَثَّ عُلَمَاؤُنَا عَلَى اقْتِنَاءِ الكُتُبِ وَلَو لَمْ يَنْتَفِع بِهَا الطَّالِبُ في نَفْسِ الوَقْتِ؛ لأَنَّهُ قَدْ يَنْتَفِعُ بِهَا مُسْتَقْبَلًا أو يَنْتَفِعُ بِهَا أولادُهُ وأحْفَادُهُ.

قَالَ ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا بَأسَ أنْ يَقْتَنِيَ الإنْسَانُ الكُتُبَ الَّتِي يَرْجُو بِهَا النَّفْعَ حَاضِرًا أو مُسْتَقْبَلًا؛ لأنَّ الكُتُبَ إنْ أرَدت أنْ تَكُونَ مَالًا فَهِيَ مَالٌ، وإنْ أَرَدْتَ أنْ تَكُونَ عِلمًا

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٥/ ١٣٨).
(٢) «علو الهمة» لمحمد بن إسماعيل المقدم (ص: ١٩١).

وتَثْقِيفًا فَهِيَ عِلْمٌ وتَثْقِيفٌ، وإنْ أَرَدتَ أن تكُونَ غَنِيمَةً لوَرَثَتِكَ مِن بَعْدِكَ لِمَن شَاءَ اللهُ هِدَايَتَهُم إلَى قِرَاءَتِهَا فَهِيَ كَذَلِكَ، فَالكُتُب مِن خَيرِ مَا يَقْتَنِيهِ الإنسَانُ في حَيَاتِهِ سَوَاء كَانَ يَنْتَفِعُ بِهَا مُبَاشَرَةً في الوَقْتِ الحَاضِرِ، أوْ لا يَنْتَفِعُ بهَا مُبَاشَرةً، أو لا يَنْتَفِعُ بهَا إلا في المُسْتَقْبَل)[1].

***

(١) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (٢٦/ ٣٦٦).

ذِكْرُ من بذلوا المالَ الكثيرَ في تَحصيلِ العلم

جَاءَ عَن هَمَّام بنِ عَبدِ اللهِ الرَّازِي الحَنَفِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: (أنفَقْتُ في طَلَبِ العِلمِ سَبعَ مِئَةِ ألفِ دِرْهَمٍ)(١).

وجَاءَ عَن البيكَنْدِي مُحَمِّدٍ بنِ سَلَّام البُخَارِي الحَافِظ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: (أنفَقْتُ في طَلَبِ العِلمِ أربَعِينَ ألفـًا، وفِي نَشْرِه أربَعِينَ ألفـًا، وليتَ مَا أنفَقتُ في طَلَبِهِ كَانَ في نَشْرِهِ)(٢).

وجَاء عَن أبِي الهَيْثَمِ الذّهلِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (أنْفَقتُ في طَلَبِ العِلمِ أكثَرَ مِن ألفِ ألفِ دِرْهَمٍ)(٣).

وقَالَ يَحيَى الكَانشِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أنفَقَ يَحيَى بنُ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ في طَلَبِ العِلمِ سِتَةَ آلافِ دِينَارٍ)(٤).

وجَاءَ عَن أحْمَدَ بنِ مَهْدِي بنِ رُستُم العَابِدِ الزَّاهِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ أنفَقَ فِي طَلَبِ العِلمِ ثَلَاثَمائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ومَكَثَ أرْبَعِينَ سَنَةٍ لا يَأوِي إلَى فِرَاشٍ.(٥)

---

(١) «العبر في خبر من غبر» (١/ ٣٠٢).
(٢) «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٣٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٣٠).
(٣) «تاريخ بغداد» (٨/ ٣١١)، و«المنتظم» لابن الجوزي (١٢/ ٢٢٥).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٦٣).
(٥) «البداية والنهاية» (١١/ ١٨٥).

وقالَ مُحَمَّد بنُ أبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعتُ مُحَمَّدَ بنَ إسْمَاعِيل [البخاري] رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (كُنتُ أستَغِلُّ كُلَّ شَهْرٍ خَمْسَ مِئَةِ دِرْهَمٍ، فأنفَقْتُ كُلَّ ذَلِكَ في طَلَبِ العِلمِ)(١).

وعَن أبِي وَهْبٍ، مُحَمَّد بنِ مزَاحِم رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (وَرِثَ عبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ عَن أبِيهِ سِتَّ مِئَةِ ألفِ دِرْهَمٍ صَامِت، فأنفَقَ في طَلَبِ العِلمِ والخَيرِ في المَوَاضِعِ أربَعَ مِئَةِ ألفٍ وسِتِّينَ أو خَمْسِينَ ألفًا، ومَاتَ عَن تِسْعِينَ ألفًا)(٢).

وأنفَقَ أبُو العَلاءِ الهَمَدَانِي العَطَّار رَحِمَهُ اللَّهُ جَمِيعَ مَا وَرِثَهُ في طَلَبِ العِلمِ، حَتَّى سَافَرَ إلَى بَغْدَاد وأصْبَهَان مَرَّاتٍ مَاشِيـًا وكَانَ يَحْمِلُ كُتُبَهُ عَلَى ظَهْرِهِ. (٣)

وقَالَ أحْمَدُ بنُ نَصْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ المغَامِي رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيهَ الصَّدْرِ، حَسَنَ القَرِيحَةِ، وقُورًا مَهِيبـًا عَاقِلًا حَلِيمـًا، وَرَحَلَ إلَى المَشرِقِ فَأَقَامَ أحَدَ عَشْرَ عَامـًا، وَمَضَى بِألفَي دِينَارٍ فَأَتَى وَعَلَيهِ الدَّينُ، أنفَقَهَا في طَلَبِ العِلمِ)(٤).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٤٩).

(٢) «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٢).

(٣) «معرفة القراء الكبار» (٢٩٦)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٢٠٤).

(٤) «الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب» (٣٥٧).

وقَالَ إسمَاعِيلُ بنُ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرِثتُ عَن أَبِي أَرْبَعَةَ آلافِ دِينَارٍ فأنفَقْتُها في طَلَبِ العِلْمِ)(١).

وجَاءَ عَن خَارِجَةَ بنِ مُصْعَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إمَامِ أهلِ خُراسَانِ: أنَّه لَقِيَ ألفًا مِن العُلَمَاءِ وأخَذَ مِنهُم، وأنفَقَ مِئَةَ ألفٍ في طَلَبِ العِلمِ ومِئَةَ ألفٍ عَلَى النَّاسِ.(٢)

وقَالَ مُحَمَّدٌ بنُ الحَسَن رَحِمَهُ اللَّهُ: (خَلَّفَ أَبِي ثَلاثِينَ ألفِ دِرْهمٍ فأنفَقْتُ نِصفَهَا عَلَى النَّحْوِ والشِّعْرِ، وأنفَقْتُ البَاقِي عَلَى الفِقْهِ)(٣).

وجَاءَ عَن ابنِ عمٍّ ليَحيَى بنِ مَعِين رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قَالَ: (كَانَ مَعِينٌ عَلَى خَرَاجِ الرَّيِّ، فَمَاتَ فَخَلَّفَ لابنِهِ يَحيَى ألفَ ألفَ دِرْهَمٍ وخَمْسِينَ ألفِ درْهَمٍ، فأنفَقَهُ كُلَّهُ عَلَى الحَدِيثِ، حَتَّى لَم يَبقَ لَهُ نَعْلٌ يَلْبَسُهُ)(٤).

وقَالَ أبُو القَاسِمِ، الحُسَينُ بنُ أحمَدَ البَزَّاز رَحِمَهُ اللَّهُ: (سَمِعتُ أبَا إسحَاقَ، إبرَاهِيمَ بنَ مُحَمَّدٍ بنِ يَحيَى المُزَكِّي

---

(١) «تاريخ دمشق» (٩/ ٤٢)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (١١٤)
(٢) «مغاني الأخيار» (٣/ ١٣٣).
(٣) «العبر في خبر من غبر» (١/ ٢٣٤)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٤٠٨).
(٤) «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٨٣)، و«تاريخ دمشق» (٦٥/ ١١).

يقُولُ: أنفَقتُ عَلَى الحَدِيثِ بِدَرًا مِنَ الدَّنَانِيرِ، وقَدِمتُ بَغدَاد فِي سَنَةِ سِتٍّ عَشْرَة لأَسْمَعَ مِن ابنِ صَاعِدٍ ومَعِي خَمسُونَ ألف درْهَمٍ بضَاعَة، ورَجَعتُ إلى نَيسَابُور وَمَعِي أقَلّ مِن ثُلثِها، أنفَقتُ مَا ذَهَبَ مِنهَا عَلَى أصْحَابِ الحَدِيثِ)(١).

وقَالَ أبُو بَكرٍ الجَوزَقِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أنْفَقتُ في طَلَبِ الحَدِيثِ مِائَةَ ألفِ دِرْهَمٍ، ومَا كَسَبتُ بِهِ دِرْهَمًا)(٢).

وقَالَ أبُو صَالِح الهَروِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: أنفَقتُ في الحَدِيثِ أرْبَعِينَ ألفـًا، وفي الأدَبِ سِتِّينَ ألفـًا)(٣).

وقال الذُّهْلِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أنفَقتُ عَلَى العِلْمِ مِائَةً وخَمْسِينَ ألفًا)(٤).

وكَانَ أبُو أحْمَدَ، مُحَمَّدُ بنُ سُلَيمَانَ بنِ فَارِس الدَّلال رَحِمَهُ اللَّهُ من أهْلِ نَيسَابُور، وكَانَتْ لَهُ ثَرْوةٌ ظَاهِرةٌ، وتِجَارَةٌ واسِعَةٌ، فَذَهَبَتْ، فَاشْتَغَلَ بالدِّلالَةِ بَعدَ أن كَانَ أقَامَ بِبَغْدَاد

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٦٦).
(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٤٦).
(٣) «معجم الأدباء» (١/ ٢).
(٤) «تحفة الأحوذي» (٣/ ٢١٧).

عَلَى التِّجَارَةِ سِنِينَ، وقَدْ كَانَ أَنْفَقَ عَلَى العِلْمِ الأَمْوالَ الكَثِيرَةَ.(١)

وكَانَ عَبْدُ القَاهِرِ بنُ طَاهِرِ بنِ مُحَمَّدٍ البَغْدَادِي ذَا ثَرْوَةٍ، فَأنفَقَ مَالَهُ عَلَى العِلْمِ حَتَّى افْتَقَرَ، ولَمْ يَكْسبْ بِعِلْمِهِ مَالاً، صَنَّفَ فِي العُلُومِ، وأَرْبَى عَلَى أَقْرَانِهِ في الفُنُونِ، وَدَرَّسَ سَبْعَةَ عَشَرَ عِلْمًا، وأَمْلَى الحَدِيثَ؛ وكَانَ كَثِيرَ الشُّيوخِ، سَخِيَّ النَّفْسِ، طَيبَ الأَخْلاقِ.(٢)

***

(١) «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٤٣١).

(٢) «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي (٢/ ١٠٥).

ذِكْرُ من باع بيته ومتاعه لتحصيل العلم

قال ابنُ القَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أفْضَى بِمَالكٍ طَلَبُ العِلمِ إلى أن نقَضَ سَقْفَ بَيتِهِ، فَبَاعَ خَشَبَهُ)(١).

وَعَن سُفيَانَ الثَّورِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: وحُدِّثتُ عن بَقِيٍّ أنَّهُ قَالَ يَومًا لطَلَبَتِهِ: أنتُمْ تَطْلُبُونَ العِلمَ؟! وَهَكَذَا يُطْلَبُ العِلْمُ؟! إنَّمَا أحَدُكُم إذَا لَم يَكُن عَلَيهِ شُغْلٌ يَقُولُ: أمْضِي أسْمَعُ العِلمَ. إنِّي لأعْرِفُ رَجُلاً تَمْضِي عَلَيهِ الأيَّامُ في وَقْتِ طَلَبِهِ للعِلمِ، لا يَكُونُ لَهُ عَيشٌ إلا مِن وَرَقِ الكُرُنبِ الَّذِي يُلقِيهِ النَّاسُ، وإنِّي لأعْرَفُ رَجُلًا بَاعَ سَرَاوِيلَهُ غَيرَ مَرَّةٍ في شِرَى كَاغَدٍ(٢) حتَّى يَسُوق اللهُ عَلَيهِ مِن حَيثُ يُخْلِفُها.(٣)

وقَالَ عَبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبِي حَاتِم الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعتُ أبِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (بَقِيتُ بِالبَصْرةِ في سَنَةِ أرْبَع عَشْرَة ومائتَينِ ثَمَانِيةَ أشْهُرٍ، وكَانَ في نَفْسِي أنَ أُقِيمَ سَنَةً، فانقَطَعَت نَفَقَتِي، فَجَعَلتُ أبِيعُ ثِيابَ بَدَنِي شَيئًا بَعدَ شَيءٍ حتَّى بَقيتُ بِلا نَفَقَةٍ،

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ١٣١) و«الديباج المذهب» (١/ ٩٨).
(٢) الكاغَد: الورق المُعد للكتابة، أو القرطاس.
(٣) «معجم الأدباء» (١/ ٢٩٠).

وَمَضيتُ أطُوفُ مَعَ صَدِيقٍ لِي إلَى المَشْيَخَةِ وأسْمَعُ مِنهُم إلَى المَسَاءِ، فانصَـرَفَ رَفِيقِي وَرَجَعْتُ إلى بيتٍ خَالٍ فجَعَلتُ أشْرَبُ المَاءَ من الجُوعِ، ثُمَّ أصْبحْتُ مِنَ الغَدِ وغَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي، فَجَعلتُ أطُوفُ مَعَهُ فِي سَمَاعِ الحَدِيثِ عَلَى جُوعٍ شَدِيدٍ، فانصَرَفَ عَنِّي وانصَرَفتُ جَائِعًا، فلمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ غَدَا عَلَيَّ فَقَالَ: مُرَّ بِنَا إلَى المَشَايِخِ. قُلتُ: أنَا ضَعِيفٌ لا يُمْكِنُنِي. قَالَ: مَا ضَعْفُكَ؟ قُلتُ: لا أكْتُمُكَ أمْرِي؛ قَدْ مَضَى يَومَانِ مَا طَعِمْتُ فِيهِمَا شَيئًا. فَقَالَ: قَدْ بَقِي مَعِي دِينَارٌ، فأَنَا أُوَاسِيكَ بِنصْفِهِ ونَجْعَلُ النِّصْفَ الآخَرَ فِي الكِرَاءِ، فَخَرَجْنَا مِنَ البَصْـرَةِ وقَبَضتُ مِنْهُ النِّصْفَ دِينَار)[1].

وقال عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعتُ أبَا زُرْعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (خَرَجْتُ مِنَ الرَّي المَرَّةَ الثَّانِيةَ سَنَةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ ومائَتَينِ، وَرَجَعتُ سَنَةَ اثْنَتَينِ وَثَلاثِينَ فِي أوَّلِهَا، بَدَأتُ فَحَجَجْتُ ثُمَّ خَرَجْتُ إلَى مِصْرَ فَأَقَمْتُ بِمِصْرَ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهرًا، وكُنْتُ عَزَمْتُ فِي بُدُوِّ قُدُومِي مِصْرَ أنِّي أُقِلُّ المُقَامَ بِها، فَلَمَّا رَأيتُ كَثْرَةَ العِلمِ بِهَا، وَكَثْرَةَ الاسْتِفَادَةِ

(١) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٣٦٣).

عَزَمْتُ عَلَى المُقَامِ، ولَمْ أكُن عَزَمْتُ عَلَى سَمَاعِ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ، فَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى المُقَامِ وُجِّهْتُ إِلَى أعْرَفِ رَجُلٍ بِمِصْرَ بِكُتُبِ الشَّافِعِيِّ فَقَبِلتُهَا مِنْهُ بِثَمَانِينَ دِرْهَمًا أَنْ يَكتُبَهَا كُلَّهَا، وأَعْطَيْتُهُ الكَاغَذ، وكُنتُ حَمَلْتُ مَعِي ثَوبَينِ رَقِيقَينِ لأقْطَعهُمَا لِنَفْسِي، فَلَمَّا عَزَمتُ عَلَى كِتَابَتِهَا أمَرْتُ بِبَيعِهِمَا فَبِيعَا بِسِتِّينَ دِرْهَمًا، واشْتَريتُ مِائَةَ وَرَقَةِ كَاغَذٍ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ، كَتَبْتُ فِيهَا كُتُبَ الشَّافِعِيِّ)[١].

وَجَاءَ عَن خَلَف أبِي القَاسِمِ، مَولَى يُوسُفَ بنِ بَهلُول البَلَنْسِي، المَعْرُوفِ بالبربلي: أنَّه لمَّا أكْمَلَ كِتَابَهُ دَخَلَتْ مِنْهُ نُسْخَةٌ صَقَلِّيَةً وَعَبْدُ الحَقِّ بِهَا، فَلَمَّا قَرَأَهُ وَنَظَرَ فِيهِ إلَى أقْوَالِهِ وَمَا أدْخَلَهُ فِيهِ مِن كِتَابِهِ اسْتَحْسَنَهُ، وأرَادَ شِرَاءَهُ فَلَم يَتَيَسَّرْ لَهُ ثَمَنُهُ، فَبَاعَ حَوَائِجَ مِن دَارِهِ واشْتَرَاهُ، فَغَلا الكِتَابُ وتَنَافَسَ فِيهِ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ.[٢]

وكان لأبِي بِشْرٍ البَنْدَنِيْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ ضِيَاع كَثِيرَةٌ وبَسَاتِينُ خلَّفَهَا أبُوهُ، فَبَاعَهَا وأنفقَهَا في طَلَبِ العِلْمِ.[٣]

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ٣٦٣).
(٢) «الديباج المذهب» لابن فرحون (١/ ٣٥٢).
(٣) «فوات الوفيات» (٤/ ٣٣٦).

وقَالَ أبُو بَكْرٍ القَصْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (بِعْتُ صَفَّ الحَدَّادِينَ بِبَغْدَادَ بِثَلاثَةِ آلافِ دِينَارٍ، فأنفَقْتُهَا كُلَّهَا عَلَى الحَدِيثِ)(١).

وقال إبْرَاهِيمُ بنُ إسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَطَائِعُنَا فِي المَرَاوِزَةِ كَانَ لِي فِيهَا اثنَتَانِ وعشْـرُونَ دارًا وبُسْتَانًا -قَالَ ابنُ حُبَيشٍ: وَكَانَ يَصِفُ لنَا نَخْلَةً نَخْلَةً ودَارًا دَارًا -قَالَ: فَبِعْتُهَا وأنفَقْتُهَا عَلَى الحَدِيثِ)(٢).

وقَالَ ابنُ عُيَينَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ شُعْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (مَنْ طَلَبَ الحَدِيثَ أفْلَسَ، لَقَدْ أفْلَسْتُ حَتَّى بِعْتُ طَسْتَ أُمِّي بِسَبْعَةِ دَنَانِيرَ)(٣).

وَجَاءَ عَنْ أَحْمَد بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أبِي جَعْفَر القَصْرِي؛ وَكَانَ فَقِيهًا مِن أهْلِ القَيْرَوَان: أنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (لِي أرْبَعُونَ سَنَةً مَا جَفَّ لِي قَلَمٌ). وَكَانَ رُبَّمَا بَاعَ بَعْضَ ثِيَابِهِ واشْتَرَى بِثَمَنِهِ كِتَابًا أو رقُوقًا لِنَسْخِ كِتَابٍ.(٤)

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ١٣٧).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨).

(٣) «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ١٥٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٢٠).

(٤) «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٦).

وقَالَ ابْنُ الجَوزَيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يُوصِي وَلَدَهُ: (واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أنَّ أبِي كَانَ مُوسِرًا وخَلَّفَ أُلُوفًا مِنَ المَالِ، وكَانَ أبُوكَ طِفْلًا، فأُنفِق عَلَيهِ مِنْ ذَلِكَ المَالِ إلَى أن بَلَغَ، وَلَمْ يَرَ بَعْدَ بُلُوغِهِ سِوَى دَارَينِ، كان يَسْكُنُ وَاحِدَةً، وَيَأخُذُ أُجْرَةَ الأُخْرَى، ثُمَّ أُعْطِي نَحْوَ عِشْرِينَ دِينَارًا، وَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ التَّرِكَةُ كُلّهَا، فَأَخَذْتُ الدَّنَانِيرَ واشْتَرَيتُ بِهَا كُتُبًا مِن كُتُبِ العِلْمِ، وبِعْتُ الدَّارَينِ وأنفَقْتُ ثَمَنَهُمَا في طَلَبِ العِلمِ، ولَمْ يَبْقَ لِي شَيءٌ مِنَ المَالِ، وما ذلَّ أبُوكَ في طَلَبِ الدُّنيَا كَذُلِّ غَيرِهِ، ولا خَرَجَ يَطُوفُ البُلْدَانَ كَغَيرِهِ من الوُعَّاظِ، ولا رَأَى أكَابرُ البُلدَانِ رِقاعَهُ عِنْدَهُم يَسْتَعْطِيهم، وأمُورُهُ تَجْرِي عَلَى السَّدَادِ)[1].

وكَانَ مُحَمَّد نَعِيم اللكْهنوي حَرِيصًا عَلَى جَمْعِ الكُتُبِ النَّفيسة، حتَّى وَرَدَ أنَّهُ بَاعَ دَارَهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى جِسْرِ (فرنكي محل)، واشْتَرَى بِثَمَنِهَا حَاشِيةَ الطَحْطَاوي عَلَى الدرِّ المُخْتَار بِستِّين رُبِيَّة.[2]

(١) «لفتة الكبد في نصيحة الولد» (ص: ٢٧).

(٢) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» لعبد الحي الطالبي (٨/ ١٣٧٥).

الإنفاق على طلاب العلم

لا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ مَكَانَةُ العُلَمَاءِ وطَلَبَةِ العِلْمِ، وَفَضْلُهُم، وضَرُورَةُ وُجُودِهِم، بل وكَثْرَتِهِم، فَهُم وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وحَمَلَةُ هَذَا الدِّين، وحرَّاسُ الشَّرِيعَةِ، وَهُم الهُدَاةُ المُرْشِدُونَ إِلَى طَرِيقِ اللهِ تَعَالَى، الدَّالُونَ عَلَى الخَيرِ والبِرِّ، العَارِفُونَ بِمُرَادِ اللهِ تَعَالَى، ومُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: (الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَان فَتْرَةٍ مِن الرُّسُلِ بَقَايَا مِن أَهْلِ العِلْمِ؛ يَدْعُونَ مَن ضَلَّ إِلَى الهُدَى، ويُصَبِّرُونَ مِنْهُم عَلَى الأَذَى، يُحْيونَ بِكِتَابِ اللهِ المَوتَى، ويُبْصِرُون بِنُورِ اللهِ أَهْلَ العَمَى، فَكَمْ مِن قَتِيلٍ لإِبْلِيسَ قَد أَحْيَوه، وَكَمْ من ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوهُ، فَمَا أَحْسَن أَثَرِهم عَلى النَّاسِ، وأَقْبَح أَثَرِ النَّاسِ عَلَيهِم، يَنْفُونَ عَن كِتَابِ اللهِ تَحْرِيفَ الغَالِين، وانْتِحَالَ المُبْطِلِين، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ)[1].

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد (ص: ٥٥).

ولا شَكَّ أنَّ هَؤلاءِ العُلَمَاءَ قَدْ بَذَلُوا أوقَاتَهُم وأمْوالَهُم، وَصَبرُوا عَلَى ضِيقِ العَيشِ، وَطُولِ السَّهَرِ؛ لِيَقُومُوا بِدَورِهِم فِي هِدَايَةِ النَّاسِ وإرْشَادِهِم إلى طَرِيقِ الله تعالى، ودِلالَتِهِم عَلَى الخَيرِ والبِرِّ، وتَحْذِيرِهِم مِن سُلُوكِ طَرِيقِ الشَّيطَانِ وأعْوَانِهِ.

لذلك، فَمَن أرَادَ أن يَبْلُغَ مَبْلَغَ العُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ؛ فإنَّهُ لا بُدَّ أن يَبْذُلَ مَا بَذَلُوا مِن وَقْتٍ وَمَالٍ وَحَظِّ نَفْسٍ، فَيَرْحَل إلَى العُلَمَاءِ، ويُكْثِر مِنَ القِرَاءَةِ وَالبَحْثِ والمُدَارَسَةِ.

وَلكنْ لا شَكَّ أنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إلَى تَفَرُّغٍ وأمْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَهُو أمْرٌ صَعْبٌ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ مَعَ ظُرُوفِ الحَيَاةِ المُعَاصِرَةِ، التي أثَّرت عَلَى طَالِبِ العِلْمِ حَتَّى أصْبَحَ مُنْهَمِكًا في مُتَطَلَّبَاتِها وَتَعْقِيدَاتِها، يَعِيشُ دَاخِلَ دَوَّامَةٍ تَأخُذُ مِنْ وَقْتِهِ وعُمُرِهِ شَيئًا طَوِيلاً.

مِمَّا يَجْعُلُهُ يُصَابُ بالضَّجَرِ في النَّهَارِ، والأرَقِ في اللَّيلِ، وهُوَ يَلُومُ نَفْسَهُ ويُقرِّعُهَا يَومًا بَعدَ يَومٍ؛ لِعَدَمِ إعْطَائِهِ العِلْمَ

وَقْتًا يَتَفَرَّغُ إِلَيهِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَسْتَحِقّهُ؛ لِتَحْصِيلِ شُمُوسِ المَعَارِفِ، وإِدْرَاكِ كُلِيَّات الشَّرِيعَةِ، وضَبْطِ مَسَائِل العِلْمِ وتَفْصِيلاتِهِ الكَثِيرَةِ.(١)

إِذْ إِنَّه مِثْلُ أيِّ إنسَانٍ، لَهُ مُتَطَلَّبات وَحَاجَات يَجبُ إِشْبَاعُها، فإِنْ قَامَ هُوَ بِذَلِكَ واقْتَطَعَ مِن وَقْتِه وَمَجْهُودِهِ قَدْرًا للكسْبِ وتَحْصِيلِ الرِّزْقِ؛ عَادَ ذَلِكَ بالنَّقْصِ عَلَى المَطْلُوبِ مِنْهُ من تَحْصِيلِ العِلْمِ، والعَمَلِ بِهِ، ونَشْرِه في النَّاسِ.

لِذَلِكَ كَانَ مِن الوَاجِبِ عَلَى الأُمَّةِ حُكُومَاتٍ وَشُعُوبًا أن يُسَانِدُوا طَلَبَةَ العِلْمِ، وَيقُومُوا عَلَى حَاجَتِهِم.

وإِنَّه لحَرِيٌّ بِنَا فِعْلُ ذَلِكَ في الوَقْتِ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ عَدُوُّنا بِذَلِكَ، فَهُم يُجَنِّدُونَ الآلاف للدَّعوة إلى الكُفْرِ ونشْرِهِ في رُبُوعِ المَعْمُورَةِ، أفَلَسْنا نَحْنُ أحَقّ بِذَلِكَ مِنْهُم؟! فَنَحْنُ أصْحَابُ الدِّين الحَقِّ، وأصْحَابُ المَنْهجِ الصَّحِيحِ، وأصْحَابُ القَضِيَّة المؤيَّدَةِ مِن اللهِ تَعَالى؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١].

---

(١) بتصرف من مقال للدكتور ناصر العمر بعنوان: «حاجة طلبة العلم إلى التفرغ العلمي» منشور في موقع المسلم.

لِذَلِكَ كَانَ الأَوْلَى بِالأَمَّةِ القِيامُ بِعَمَلِهَا في دَعْمِ طَلَبَةِ العِلْمِ، وَتَفْرِيغِ النُّبغَاءِ مِنْهُم في كُلِّ بَلَدٍ لِتَحْصِيلِ العِلْمِ وتَعْلِيمِهِ للنَّاسِ.

فَكَثِيرٌ مِن طَلَبَةِ العِلْمِ، مَعَ ذَكَائِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى التَّحْصِيلِ العِلْمِي ونُبُوغِهِ، وظُهُورِ أَمَارَاتِ الفِطْنَةِ عَلَيهِ، يُعاني الحَاجَةَ والفَقْرَ الَّذي لم يَقْتِصر عَلَى النَّيل ممَّا يُقِيم به صُلْبَهُ، ولَكِنْ يَتَعَدَّى إِلَى أَنْ يَمنَعَهُ مِن شِرَاءِ سِلاحِه الَّذِي يُجَاهِدُ بِهِ؛ ألا وَهُو «الكُتُب».

فَطَالِبُ العِلْمِ حَاجَتُهُ إِلَى الكُتُبِ أَشَدُّ مِن حَاجَتِهِ إِلَى الطَّعَامِ والشَّرَابِ.

وإِنْ أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ مَكْتَبَةً تَحْتَوِي عَلَى الأُصُولِ فَقَطْ مِن الكُتُبِ المُخْتَلِفَةِ في عُلُومِ الشَّرِيعَةِ لاحْتَاجَ إِلَى الآلافِ، فَإِنْ ذَهَبَ في جَمْعِهَا ذَهَب مَعَهُ العِلمُ، وأكبَّتْ عَلَيهِ الدُّنْيا، وأَجْلَبَتْ عَلَيهِ بِخَيْلِهَا ورَجْلِهَا، وبِذَلِك نَفْقِدُ طَالِبًا تِلْوَ طالبٍ حَتَّى لا يبقى لَنَا عَالِمٌ؛ لاشْتِغَالِ العُلَمَاءِ بالسَّعْي في طَلَبِ الرِّزْقِ، وتُنْتَهَكُ ثُغُورُنَا، وتُكشَفُ عَورَاتُنا، ويُعبثُ

بِدِيننا؛ بِسَبَبِ عَجْزِ الأُمَّةِ عَن رَصْدِ المِيزَانِيَّاتِ الَّتِي بِهَا تُجَهَّزُ كَتَائِبُ العُلَمَاءِ.(١)

وَلقد كَانَ الْخَلِيفَةُ هَارُونُ الرَّشِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ يُغْدِقُ الْعَطَايَا وَالصِّلَاتِ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ حَتَّى قَالَ اِبْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَا رَأَيْتُ عَالِمًا ، وَلَا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ ، وَلَا سَابِقًا لِلْخَيْرَاتِ ، وَلَا حافِظًا لِلْمُحَرَّمَاتِ فِي أَيَّامٍ بَعْدَ أَيَّامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَيَّامِ الْخُلَفَاءِ وَالصَّحَابَةِ أَكْثَرَ مِنْهُمْ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ وَأَيَّامِهُ، لَقَدْ كَانَ الْغُلاَمُ يَجْمَعُ الْقُرْآنَ وَهُوَ اِبْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، وَلَقَدْ كَانَ الْغُلاَمُ يَسْتَبْحِرُ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ، وَيَرْوِي الْحَديثَ، وَيَجْمَعُ الدَّوَاوِينَ، وَيُنَاظِرُ الْمُعَلِّمِينَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَة، كُلّ هَذَا بِسَبَبِ تَشْجِيعِ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لِلْعِلْمِ وَلِطَلَبَتِهِ)(٢).

وَذَلِكَ؛ لأَنَّ الإِنْفَاقَ عَلَى طَلَبَةِ العِلْمِ المُحْتَاجِينَ مِن أَفْضَلِ القُرُبَاتِ، وَمِن أَفْضَلِ المَصَارِفِ الَّتِي تُوضَعُ فِيهَا

---

(١) بتصرف يسير من مقال بعنوان: «كفالة طلبة العلم وواجب الأمة في إعداد العلماء» لمصطفى مهدي، من موقع الألوكة.

(٢) «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة الدينوري (٢/ ١٥٧).

الصَّدَقَةُ؛ بَل إنَّ إعْطَاءَ طَالِبِ العِلْمِ الفَقِيرِ مِن الزَّكَاةِ أولَى مِن إعْطَائِهَا لِغَيرِهِ؛ لأنَّ طَالِبَ العِلْمِ نَفْعُهُ مُتَعَدٍّ إلَى عُمُومِ المُسْلِمِينَ.

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِن العُلَمَاءِ إلَى أنَّ طَالِبَ العِلْمِ المُحْتَاجَ يُعَدُّ مِن المُسْتَحِقِّينَ للزَّكَاةِ، باعْتِبَارِه كالمُجَاهِدِ في سَبِيلِ اللهِ.

قَالَ ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: (قَالَ أهْلُ العِلْمِ: وَمِن سَبِيلِ اللهِ الرَّجُلُ يَتَفَرَّغُ لِطَلَبِ العِلْمِ الشَّرعِي، فَيُعْطَى مِن الزَّكَاةِ مَا يَحْتَاجُ إلَيهِ مِن نَفَقَةٍ وكِسْوَةٍ وطَعَامٍ وشَرَابٍ وَمَسْكَنٍ وكُتُبِ عِلْمٍ يَحْتَاجُهَا؛ لأنَّ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ نَوعٌ مِن الجِهَادِ في سَبِيلِ اللهِ، بَلْ قَالَ الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: (العِلْمُ لا يَعْدِلُهُ شَيءٌ لِمَنْ صَحَّت نِيَّتُهُ). فَالعِلْمُ هُوَ أصْلُ الشَّرْعِ كُلِّهِ، فَلا شَرْعَ إلا بِعِلْمٍ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنْزَلَ الكِتَابَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ، وَيَتَعَلَّمُوا أحْكَامَ شَرِيعَتِهِم، وَمَا يَلْزَمُ مِن عَقِيدَةٍ وَقَولٍ وَفِعْلٍ. أمَّا الجِهَادَ في سَبِيلِ اللهِ فَنَعمْ هُوَ مِن أشْرَفِ الأعْمَالِ، بَلْ هُو ذرْوةُ سَنَامِ الإسْلامِ، وَلا شَكَّ في فَضْلِهِ،

لَكِنَّ العِلْمَ لَهُ شَأنٌ كَبِيرٌ في الإسْلامِ، فَدُخُولُهُ في الجِهَادِ في سَبِيلِ اللهِ دُخُولٌ وَاضِحٌ لا إشْكَالَ فِيهِ)[١].

ولِذَلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِن أصْحَابِ المَالِ مِنَ السَّلَفِ والعُلَمَاءِ يَكْفُلُونَ أهْلَ العِلْمِ وطَلَبَتَهُ، وَيُنْفِقُونَ عَلَيهِم أمْوَالاً كَثِيرَةً؛ لِيتَفَرَّغُوا لِطَلَبِ العِلْمِ ونَشْرِهِ وَدَعْوَةِ النَّاسِ إلَى اللهِ تَعَالَى.

ومن ذلك ما جَاءَ عَن مُحَمَّدٍ بنِ سُوقَةَ الغَنَوِي ؒ أنَّهُ أنفَقَ عَلَى أهْلِ العِلمِ عِشْرِينَ ومِائَةَ ألفِ دِرْهَمٍ.[٢]

وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ أبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إبرَاهِيمَ الأنصَارِي: أنَّ أباه كان فقيرًا، لَهُ حَانُوتٌ ضَعِيْفٌ، فَكَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ يَتَعَاهَدُ أَبَا يُوْسُفَ بِالدَّرَاهِمِ، مائَةً بَعْدَ مائَةٍ.

فَرَوَى: عَلِيُّ بنُ حَرْملَةَ التَّيْمِيُّ، عَنْهُ أنه قَالَ: كُنْتُ أَطْلُبُ العِلْمَ وَأَنَا مُقِلّ، فَجَاءَ أَبِي، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! لاَ تَمُدَّنَّ رِجْلَكَ مَعَ أَبِي حَنِيْفَةَ، فَأَنْتَ مُحْتَاجٌ. فَآثَرتُ طَاعَةَ أَبِي، فَأَعْطَانِي أَبُو

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (١٨/ ٣٣٨).
(٢) «الثقات» لابن حبان (٧ / ٤٠٤).

حَنِيْفَةَ مائَةَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: الْزَمِ الحَلْقَةَ، فَإِذَا نَفَذَتْ هَذِهِ، فَأَعْلِمْنِي. ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ أَعْطَانِي مائَةً.(١)

وكَانَ عَبْدُ اللهِ بن المُبَارَكِ غَنِيّـًا شَاكِرًا، رَأْسُ مَالِهِ نَحْوُ الأَرْبَعِ مائَةِ أَلْفٍ، وكَانَ يُنْفِقُ عَلَى طُلَّابِ العِلْمِ والعُلَمَاءِ، وَيُكْرِمُهُم ويُطْعِمُهُم.

قَالَ حِبَّانُ بنُ مُوْسَى: رَأَيْتُ سُفرَةَ ابْنِ المُبَارَكِ حُمِلَتْ عَلَى عَجَلَةٍ.

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الطَّالْقَانِيُّ: رَأَيْتُ بَعِيْرَيْنِ مُحَمَّلَيْنِ دَجَاجـًا مَشْوِيـًا لِسُفْرَةِ ابْنِ المُبَارَكِ.

وَرَوَى: عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَهْمٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ المُبَارَكِ، فَكَانَ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ، فَيُشْوَى لَهُ جَدْيٌ، وَيُتَّخَذُ لَهُ فَالُوذَق، فَقِيْلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّيْ دَفَعتُ إِلَى وَكِيلِي أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَأَمَرتُهُ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْنَا.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨ / ٥٣٦).

قَالَ الحَسَنُ بنُ حَمَّادٍ: دَخَلَ أَبُو أُسَامَةَ عَلَى ابْنِ المُبَارَكِ، فَوَجَدَ فِي وَجْهِه عَبْدُ اللهِ أَثَرَ الضُّرِّ، فَلَمَّا خَرَجَ، بَعَثَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

وَفَتَىً خَلاَ مِنْ مَالِهِ ... وَمِنَ المُرُوءةِ غَيْرُ خَالِ

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُــؤَالِهِ .... وَكَفَــاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

وَقَالَ المُسَيَّبُ بنُ وَاضِحٍ: أَرْسَلَ ابْنُ المُبَارَكِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بنِ عَيَّاشٍ أَرْبَعَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: سُدَّ بِهَا فِتْنَةَ القَوْمِ عَنْكَ.

وقَالَ عَلِيُّ بنُ خَشْرَمَ: قُلْتُ لِعِيْسَى بنِ يُوْنُسَ: كَيْفَ فَضَلَكُمُ ابْنُ المُبَارَكِ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَسَنّ مِنْكُم؟

قَالَ: كَانَ يَقْدمُ، وَمَعَهُ الغِلْمَةُ الخُرَاسَانِيَّةُ، وَالبِزَّةُ الحَسَنَةُ، فَيَصِلُ العُلَمَاءَ، وَيُعْطِيْهِم، وَكُنَّا لاَ نَقدِرُ عَلَى هَذَا.

وقَالَ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ رَحِمَهُ اللهُ: قَدِمَ ابْنُ المُبَارَكِ أَيْلَةَ عَلَى يُوْنُسَ بنِ يَزِيْدَ، وَمَعَهُ غُلاَمٌ مُفرَّغٌ لِعَمَلِ الفَالُوذَجِ[1]، يَتَّخِذُهُ لِلْمُحَدِّثِيْنَ.[2]

---

(١) الفالوذج والفالوذق، وهو نوع من الحلوى، قال في تهذيب اللغة (١٥/ ٢٤٣): (قَالَ أَبُو الحسن فِي الفالوذج: لبابُ القَمْح بلباب النّحْل).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٤١٠).

ولما عُوتِبَ ابْنُ المُبَارَكِ فِيْمَا يُفَرِّقُ مِنَ المَالِ فِي البُلْدَانِ دُوْنَ بَلَدِهِ، قَالَ: (إِنِّيْ أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُم فَضْلٌ وَصِدْقٌ، طَلَبُوا الحَدِيْثَ، فَأَحْسَنُوا طَلَبَهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِم، احْتَاجُوا، فَإِنْ تَرَكْنَاهُم، ضَاعَ عِلْمُهُم، وَإِنْ أَعَنَّاهُم بَثُّوا العِلْمَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لاَ أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ العِلْمِ)[١].

وكَانَ لأَبِي مُحَمَّدٍ بنِ أَبِي حَامِدٍ الشَّيبَانِي النَّيسَابُوري رَحِمَهُ اللَّهُ ثَرْوةٌ ظَاهِرَةٌ فأَنفَقَ أكثَرَهَا عَلَى العِلمِ، وأَهْلِ العِلمِ، وفي الحَجِّ والجِهَادِ، وغَيرِ ذَلِكَ مِن أعمَالِ البِرِّ.[٢]

وقَالَ أَبُو إسحَاقَ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَن قَالَ: إنَّ أحَدًا أنفَقَ عَلَى أَهْلِ العِلمِ مِائَةَ ألفِ دِينَارٍ غَيرَ أَبِي مُحَمَّدٍ الأَكْفَانِي فَقَد كَذَبَ[٣])[٤].

وقَالَ مُحَمَّدُ بنُ الفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ جَدِّي لا يَدَّخِرُ شَيئًا جَهدَهُ، بَلْ يُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، ولا يَعْرِفُ الشُّحَّ، ولا يُمَيِّزُ بَينَ العَشرَةِ والعِشْرِينَ)[٥].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٨٧).
(٢) «تاريخ بغداد» (٩ / ٣٩٨).
(٣) أي: أخطأ.
(٤) «تاريخ بغداد» (٩ / ١٤٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٥٢).
(٥) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٢٠٨).

وقَالَ الأعْمَشُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَرِثَ خَيْثَمَةُ [بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ] مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَنْفَقَهَا عَلَى الْقُرَّاءِ وَالْفقَهَاءِ، وَكَانَ يَضَعُ الْخَبِيصَ وَالطَّعَامَ ثُمَّ يَدْعُو إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ وَيَدْعُونَا مَعَهُ، وَيَقُولُ: كُلُوا مَا أَشْتَهِيهِ، مَا أَصْنَعُ إِلا مِنْ أَجْلِكُمْ، وَكَانَ يَصُرُّ الدَّرَاهِمَ، فَإِذَا رَأَى الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مُتَخَرِّقَ الْقَمِيصِ وَالرِّدَاءِ وَبِهِ خَلَّةٌ تَحَيَّنَهُ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْبَابِ خَرَجَ هُوَ مِنْ بَابٍ آخَرَ حَتَّى يَلْقَاهُ فَيُعْطِيَهُ فَيَقول: اشْتَرِ قَمِيصًا، اشْتَرِ رِدَاءً)[١].

وكَانَ إِسْمَاعِيل السَّبخِي الكَاخِي، أَخُو أَبِي طَاهِرٍ مُحَمَّدٍ الزَّاهِدِ، شَيخًا سَدِيدًا، مَعْرُوفًا بِالخَيرِ والصَّلاحِ والرَّغْبَةِ فِي أَهْلِ العِلْمِ، يُنْفِقُ عَلَيهِم، وكَانَ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ، جَمِيلَ الأَمْرِ، نَظِيفًا.[٢]

وجَاءَ عَن أَبِي مَنْصُورٍ، مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بْنِ العَبِير، مِنْ أَهْلِ نَيسَابُور، أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُتَمَوِّلِينَ، وكَانَ يُرَغِّبُ فِي حُضُورِ مَجَالِسِ أَهْلِ العِلْمِ، ويُنْفِقُ عَلَيهِم، ويُكْثِرُ التَّقَرُّبَ إِلَيهِم وكَانَ نَبِيلًا.[٣]

---

(١) «سير السلف الصالحين» لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٧٤٧)

(٢) «المنتخب من معجم شيوخ السمعاني» (ص: ١١٩٦).

(٣) «المنتخب من معجم شيوخ السمعاني» (ص: ١٣٦٨).

وَجَاءَ عَن عَبْدِ اللهِ بنِ المُبَارَك بنِ الحَسَنِ العَكْبَري المُقرئ الفَقِيه، ويُعرَفُ بـ «ابنِ نيال»: أَنَّهُ كَانَ يَصْحَبُ شَافِعًا الحَنْبَلِي، فَأَشَارَ عَلَيهِ بِشِرَاءِ كُتُبِ ابنِ عَقِيلٍ، فَبَاعَ مُلْكًا لَهُ، واشْتَرَى بِثَمَنِهِ كِتَابَ: «الفُنُون»، وكتاب: «الفصول»، ووَقَفها عَلَى المُسْلِمِينَ.(١)

وكَانَ الحُسَينُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ اللهِ، شَرَف الدِّينِ الطِّيبِي: مِنْ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ والتَّفْسِيرِ والبَيَانِ، وَكَانَت لَهُ ثَرْوةٌ طَائِلَةٌ مِنَ الإرْثِ والتِّجَارَةِ، فَأَنْفَقَهَا فِي وُجُوهِ الخَيرِ، حَتَّى افْتَقَرَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى المُبْتَدِعَةِ، مُلازِمًا لِتَعْلِيمِ الطَّلَبَةِ والإنْفَاقِ عَلَى ذَوِي الحَاجَةِ مِنْهُم، آيَةً في اسْتِخْرَاجِ الدَّقَائِقِ مِن الكِتَابِ والسُّنَّةِ، مُتَوَاضِعًا، ضَعِيفَ البَصَرِ.(٢)

وقال الوهْرَانِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الأبْهَرِي رَحِمَهُ اللهُ: (وَمَا رَأيتُ مِنَ الشُّيوخِ أسْخَى مِنْهُ، ولا أشَدَّ مؤاسَاةً لِطَلَبَةِ العِلْمِ، وَمَنْ يَرِدُ عَلَيهِ مِنَ الغُرَبَاءِ يُعْطِيهِم الدَّرَاهِم، ويَكْسُوهُم، وَكَانَ لا

(١) «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٦).
(٢) «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٦).

يُخْلِي جَيْبَهُ مِن كِيسٍ، فِيهِ مَالٌ، فَكُلّ مَن يَرِدُ عَلَيهِ مِنَ الفُقَرَاءِ يَغْرِفُ لَهُ غَرْفَةً بِلا وَزْنٍ)(١).

وجَاءَ عَنْ زَوجَةِ صِدِّيق حَسَن خَان القَنُّوجِي، أَنَّها كَانَتْ صَاحِبَةَ فَضْلٍ وَكَرَمٍ، أَحْيَتْ المَدَارِسَ العِلْمِيَّةَ، وبَنَت المَسَاجِدَ العَظِيمَةَ، وأعْطَت الطَّلَبَةَ أُلُوفًا مِن المَصَاحِفِ وَالكُتُبِ الدِّينِيَّةِ، وأنفَقَتْ مَالاً عَظِيمًا عَلَى طَبْعِ المُصْحَفِ والتَّفْسِيرِ والحَدِيثِ واللّغَةِ وغَيرِهَا مِن العُلُومِ والفُنُونِ، وأَسَّسَت المَدْرَسَةَ الجهَانكيرية عَلَى اسْمِ أبِيهَا بِدَارِ مِلْكه.(٢)

وقَدْ كَانَ الشَّيخُ ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُزَوِّدُ طُلَّابَه بمَا يُرِيدُونَ مِنَ المَالِ أو الكُتُبِ، وكَانَ يُكَلِّفُ بَعْضَهُم بِمُرَاجَعَةِ الأحَادِيثِ أو تَحْرِيرِ بَعْضِ المَسَائِلِ، ويَنْظُرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ويُتَابِعُهُ، بَل كَانَ يَجْعَلُ بَعْضَهُمْ يُدَرِّسُ بَعْضَ المُبْتَدِئِينَ.

وأُهْدِيَت لَهُ عمَارَةٌ مِنَ المَلِكِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ فَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى طَلَبَةِ العِلْمِ، وَصَارَ هُوَ القَيِّمَ عَلَيهَا.

كَمَا كَانَت تُعْطَى لَهُ الأُعْطَيَاتُ الكَبِيرَةُ فَيُعلِنُ عَلَى المَلإِ مُبَاشَرَةً أَنَّهَا لِطَلَبَةِ العِلْمِ.

---

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (٦/ ١٨٦).
(٢) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٨/ ١٢٤٥).

الخاتمة

الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

فَهَذَا مَا تَيَسَّرَ جَمْعُهُ في هَذَا المَوضُوعِ، وكَانَت الغَايَةُ مِنْهُ حثَّ طُلابِ العِلمِ عَلَى بَذْلِ المَالِ في تَحْصِيلِ العِلمِ ونَشْرِهِ، وألا يَبْخَلَ عَلَى العِلمِ مَن يُريدُ مِنْهُم بُلُوغَ مَنزِلَةِ العُلَمَاءِ الكِبَارِ والرَّاسِخِينَ في العِلْمِ.

وكذلك حثّ أصْحَابِ الأمْوَالِ عَلَى كَفَالَةِ طُلابِ العِلْمِ والإنفَاقِ عَلَيهِم؛ لِيَتَفَرَّغُوا لِطَلَبِ العلم ونَشْرِهِ في النَّاسِ.

فأسْأَلُ اللهَ أن يَكُونَ هَذَا الجَمْعُ جمعًا مُبَارَكًا، وأنْ يَنْفَعَ بِهِ طُلابَ العِلْمِ، وأن يَجْعَلَهُ في مِيزَانِ حَسَنَاتِي يَومَ ألقَاهُ، والحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ.

***

فهرس المراجع

١) **أحاديث معلة ظاهرها الصحة**، لمقبل بن هادي الوادعي، الناشر: دار الآثار للنشر والتوزيع.
٢) **الأعلام**، للزركلي، الناشر: دار العلم للملايين.
٣) **الآداب الشرعية**، لمحمد ابن مفلح، دار علم الكتب.
٤) **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٥) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٣هـ.
٦) **الإمامة والسياسة** المعروف بتاريخ الخلفاء، المنسوب لابن قتيبة الدينوري.
٧) **إنباء الغمر بأبناء العمر**، لابن حجر، الناشر: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، المحقق: د. حسن حبشي.
٨) **الأنساب**، للسمعاني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، المحقق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني وغيره.
٩) **بدائع التفسير**، لابن القيم، دار ابن الجوزي، الدمام، المحقق: يسري السيد –صالح الشامي.
١٠) **البداية والنهاية**، لابن كثير، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.
١١) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للسيوطي، الناشر: المكتبة العصرية –لبنان / صيدا، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢) **تاريخ دمشق**، لابن عساكر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي.
١٣) **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف.
١٤) **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، الناشر: دار الغرب الإسلامي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف.
١٥) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، للمباركفوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٦) **تذكرة الحفاظ**، للذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
١٧) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، الناشر: مطبعة فضالة –المحمدية، المغرب.
١٨) **تفسير يحيىٰ بن سلام**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي
١٩) **تفسير الطبري**، الناشر: مؤسسة الرسالة، المحقق: أحمد محمد شاكر.
٢٠) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، المحقق: سامي بن محمد سلامة.
٢١) **تفسير السعدي**، الناشر: مؤسسة الرسالة، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
٢٢) **التفسير الميسر**، لمجموعة من العلماء، طباعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٢٣) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للمزي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، المحقق: د. بشار عواد معروف.

٢٤) **الثقات**، لابن حبان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية.
٢٥) **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، المحقق: شعيب الأرناؤوط –إبراهيم باجس.
٢٦) **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبد البر، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري.
٢٧) **الجامع لشعب الإيمان**، للبيهقي، طبعة مكتبة الرشد–الرياض.
٢٨) **الجرح والتعديل**، لابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٩) **الحث على طلب العلم**، للعسكري، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، المحقق: د. مروان قباني.
٣٠) **حلية الأولياء**، لأبي نعيم، دار الكتاب العربي – بيروت.
٣١) **الحلم**، لابن أبي الدنيا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا.
٣٢) **درء تعارض العقل والنقل** لابن تيمية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم.
٣٣) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية –صيدر اباد/ الهند، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان.

٣٤) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لابن فرحون، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور.
٣٥) **ذيل طبقات الحنابلة**، لابن رجب، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.
٣٦) **الرد علىٰ الجهمية والزنادقة**، للإمام أحمد، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، المحقق: صبري بن سلامة شاهين.
٣٧) **الرحلة في طلب الحديث**، للخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: نور الدين عتر.
٣٨) **روح المعاني**، للألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: علي عبد الباري عطية.
٣٩) **سبل السلام**، للصنعاني، الناشر: دار الحديث، القاهرة.
٤٠) **سنن أبي داود**، طبعة دار الفكر–بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين.
٤١) **سنن الترمذي**، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣).
٤٢) **سنن ابن ماجه**، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٣) **سنن الدارمي**، طبعة دار الكتاب العربي – بيروت، تحقيق: فواز الزمرلي وخالد العلمي.
٤٤) **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، للألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٥) **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.
٤٦) **سير السلف الصالحين**، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد.
٤٧) **شرح صحيح مسلم**، للنووي، طبعة دار إحياء التراث العربي-بيروت.
٤٨) **شرح صحيح البخارى**، لابن بطال، طبعة مكتبة الرشد – الرياض.
٤٩) **شرح رياض الصالحين**، لا بن عثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.
٥٠) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط.
٥١) **صحيح البخاري**، ترقيم فتح الباري، دار الشعب – القاهرة.
٥٢) **صحيح مسلم**، ترقيم محمد فؤاد، طبعة دار الجيل-بيروت.
٥٣) **صحيح ابن حبان**، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط.
٥٤) **صحيح الجامع الصغير وزيادته** للمحدث الألباني، طبعة المكتب الإسلامي-بيروت.
٥٥) **طبقات الحفاظ**، للسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٦) **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، الناشر: مكتبة العلوم والحكم -المدينة المنورة، المحقق: زياد محمد منصور.
٥٧) **العبر في خبر من غبر**، للذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

٥٨) **العلم**، لزهير بن حرب، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني.
٥٩) **علو الهمة**، لمحمد بن إسماعيل المقدم، الناشر: دار القمة –دار الإيمان، مصر.
٦٠) **غاية النهاية في طبقات القراء**، لابن الجزري، الناشر: مكتبة ابن تيمية– مصر.
٦١) **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**، للسفاريني، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٦٢) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر، الناشر: دار المعرفة –بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.
٦٣) **فوات الوفيات**، لابن شاكر، الناشر: دار صادر – بيروت، المحقق: إحسان عباس
٦٤) **فيض القدير**، للمناوي، طبعة دار الكتب العلمية–بيروت.
٦٥) **الكامل في ضعفاء الرجال**، الناشر: الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض.
٦٦) **الكشاف**، للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
٦٧) **لفتة الكبد في نصيحة الولد**، لابن الجوزي، دار القاسم، الرياض.
٦٨) **المال والحكم في الإسلام**، لعبد القادر عودة، الناشر: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٦٩) **المجالس الوعظية**، للسفيري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن.

٧٠) **مجموع فتاوىٰ**، ابن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
٧١) **مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن العثيمين**، الناشر: دار الوطن -دار الثريا، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.
٧٢) **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للمباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء -الجامعة السلفية -بنارس الهند.
٧٣) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لعلي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت.
٧٤) **مسند الإمام أحمد**، طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين.
٧٥) **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، الناشر: دار العربية – بيروت، المحقق: محمد المنتقىٰ الكشناوي.
٧٦) **مصنف ابن أبي شيبة**، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، المحقق: كمال يوسف الحوت.
٧٧) **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٧٨) **معالم السنن**، للخطابي، الناشر: المطبعة العلمية – حلب.
٧٩) **معجم مقاييس اللغة لابن فارس**، طبعة دار الفكر-بيروت، تحقيق: عبد السلام هارون.
٨٠) **معجم الطبراني الكبير**، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٨١) **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، المحقق: إحسان عباس.

٨٢) **معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار**، للذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
٨٣) **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، للعيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل.
٨٤) **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر.
٨٥) **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفىٰ عبد القادر عطا.
٨٦) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، تحقيق: علي محمد البجاوي.
٨٧) **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، لعبد الحي الطالبي، دار النشر: دار ابن حزم – بيروت.

***

فهرس الموضوعات

المقدمة	٥
المبحث الأول: فضل طلب العلم	١١
تمهيد	١٣
العلم يهدي إلىٰ الإيمان	١٤
العلم يهدي إلىٰ الحق	١٥
العلم يرفع الدرجات	١٧
العلم يرفع منزلة أهله في الدنيا	١٩
العلم إمام العمل	٢٣
ثواب العلم دائم لا ينقطع	٢٤
العلم حياة القلوب	٢٥
العلم خير من المال	٢٧
العلم يحفظ صاحبه من الزلل والمعصية والهلاك	٣١
ما أمر الله نبيه ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا العلم	٣٣
من أراد الله به خيرا يفقهه في الدين	٣٤
طلب العلم طريق إلىٰ الجنة	٣٦
الملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم	٣٨
طالب العلم تغشاه الرحمة وتحفه الملائكة	٤٠

دعاء النبي ﷺ لطالب العلم بالنضرة	٤١
أهل العلم أشد الناس خشية لله	٤٢
أهل العلم أكثر النَّاس معرفة للحق وإيمانًا به	٤٥
أهل العلم أعرف الناس بالخير والشر	٤٧
العلماء يستغفر لهم من في السماوات والأرض	٤٨
العلماءُ قَرَنَ اللهُ شهـادتهم بشهادته	٥٠
من أقوال السلف في الحث علىٰ طلب العلم	٥١
المبحث الثاني: المال، ومنافعه وأضراره	٥٥
تمهيد	٥٧
المـــال مـــال الله	٦٢
المال وسيلة وليس غاية	٦٥
المال فتنة	٦٧
المال ينفع العالم ويضر الجاهل	٧٥
كل امرئ سيسأل عن ماله	٧٧
المبحث الثالث: العلم أجلّ ما يُنفق فيه المال	٧٩
تمهيد	٨١
بذل المال في الرحلة إلىٰ العلماء	٨٣
بذل المال في شراء الكتب	٨٨

ذكر من بذلوا المال الكثير في تحصيل العلم	٩٣
ذِكْرُ من باع بيته ومتاعه لتحصيل العلم	٩٨
الإنفاق علىٰ طلاب العلم	١٠٣
الخاتمة	١١٦
فهرس المراجع	١١٧
فهرس الموضوعات	١٢٥

***

طبع للمؤلف في دار اللؤلؤة

الأحكام المتعلقة بالسحر والسحرة في الفقه الإسلامي

تأليف الدكتور

أحمد بن فتحي البكيري

تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر